قصة نـوح عليه السلام

بـين

الإطناب في سورة هود والإيجاز في سورة القمر

" دراسة بلاغية "

د . شعبان عبد الـلاه السيد عيد

مدرس البلاغة والنقد في كلية الدراسات الإسلامية

والعربية بدسوق - جامعة الأزهر

١٤٤٠ هـ _ ٢٠١٨ م

المقـــــــــــــدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ــ وبعد

فهذه دراسة بلاغية في قصة نوح عليه السلام بين سورتي هود والقمر بعنوان : (قصة نوح عليه السلام بين الإطناب في سورة هود والإيجاز في سورة القمر. دراسة بلاغية) ، حيث جاءت القصة في سورة هود مفصلة تفصيلا وهي نفس القصة جاءت في سورة القمر موجزة ، مركِّزة ـــ في سطور معدودة وكلمات قلائل ـــ على مصارع الأقوام الكافرة المكذبة برسالات الأنبياء ، وكل ذلك جاء في ضوء مقام الحال ومقتضاه بين السورتين .

سبب اختياري لهذا الموضوع

يرجع سبب اختياري لهذا لبحث أن كنت أقرأ في كتاب شيخنا الدكتور محمد رجب البيومي " البيان القرآني " وقد عرّج تعريجا سريعا على القصة بين السورتين (هود والقمر) وذكر ـ رحمه الله ـ أن القصة جاءت مفصلة بكل أطوارها (كغيرها من القصص) في سورة هود بينما جاءت القصة نفسها (كغيرها أيضا من القصص) موجزة مكتنزة ، ولكنه ـــ رحمه الله ـــ قد اكتفي بهذا في إطار التمثيل للإيجاز والإطناب في القصة القرآنية ولم يتناول بالتفصيل مظاهر الإيجاز والإطناب أكثر مما أشار إلى عدد سطور القصة بين السورتين حيث زادت عن الأربعين سطرا في سورة هود بينما لم تتجاوز الخمسة أسطر في سورة القمر ، وبطبيعة الحال فإن منهج الكتاب لم يكن معنيا بالتحليل البلاغي للقصة في إطار الإيجاز والإطناب ،

ولكنه كان معنيا بالتعريج العام على قضايا البيان القرآني بصورة مجملة دون الولوج في تفاصيل القضايا وتحليلها بلاغيا ، وهكذا كان نصيب قضية الإيجاز والإطناب في الكتاب مثل ما هو نصيب سائر القضايا من النظرة الإجمالية والكلية ، فكان دور بحثي هذا هو تفصيل دراسة القصة بلاغيا في إطار مظاهر الإيجاز والإطناب وإبراز مقام الحال الذي وجه إلى كليهما في السورتين الكريمتين .

وأود أن أنبه إلى أنني لم أقرأ دراسة تناولت الموضوع نفسه بلاغيا بين السورتين ، سواء في إطار ما نحن فيه من مظاهر الإيجاز والإطناب ، أو في إطار آخر من الأطر البلاغية بين السورتين و من هنا فقد تركت نفسي في هذه الدراسة على علاتها تكتب في الموضوع دون الاتكاء على دراسات بلاغية سابقة في ذات الموضوع ، لذا فقد جاءت الدراسة هنا في هذا البحث جهدا خالصا لم أقتبسه من أحد أو أتبع فيه دراسة أخرى ، وأتحمل المسئولية كاملة عن هذا إن كانت هنالك دراسة بلاغية في الموضوع نفسه تشبهه إذا طوبق بين الدراستين ــ لكن هذا شيء وما اقتبسته واستشهدت به من المصادر المتعلقة بالموضوع شيء آخر سواء من كتب التفاسير أو من كتب البلاغة واللغة .. والله على ما أقول شهيد .

كما أنبه: إلى أنني لست معنيا في هذا البحث المتواضع بتحليل القصة في السورتين تحليلا كاملا يقف عند كل جملة وكل كلمة لاستخراج ما فيها من أسرار بلاغية ، فليس هذا مقصود البحث وإن كان يزينه ويثقله ويرفع من قدره ، ولكني سأقتصر على النظرة الكلية لمظاهر الإيجاز والإطناب التي اقتضاها مقام الحال للقصة بين السورتين ، وربما ننعطف أحيانا إلى تحليل بعض الجمل أو

الألفاظ التي تسهم في تجلية الفكرة البلاغية التي نلح عليها في إبراز مظاهر الإيجاز أو الإطناب هنا أو هناك .

وقد ارتأيت أن تسير الدراسة بعد هذه المقدمة في تمهيد وأربعة مباحث وخاتمة

أما التمهيد : فيضم التعريف بسورتي هود والقمر .

وأما المبحث الأول : فجاء تحت عنوان : الإيجاز والإطناب تنظيرا .

وأما المبحث الثاني : فجاء تحت عنوان قضايا تتعلق بدراسة الإيجاز والإطناب بين السورتين .

وأما المبحث الثالث : فجاء تحت عنوان : مظاهر الإطناب وبلاغته لقصة نوح عليه السلام في سورة هود

وأما المبحث الرابع : فجاء تحت عنوان : مظاهر الإيجاز وبلاغته لقصة نوح عليه السلام في سورة القمر

وأما الخاتمة فقد جاءت متضمنة أبرز نتائج البحث في ضوء هذه الدراسة

ثم ثبت بمصادر ومراجع البحث .

التمهيـــد

ويشتمل على التعريف بسورتي هود والقمر

أولا : سورة هود :

جاء في تفسير المراغي سورة هود مكية كالتي قبلها، وعدد آياتها ثلاث وعشرون ومائة، نزلت بعد سورة يونس، وتضمنت ما تضمنته تلك من أصول الإسلام، وهى التوحيد والنبوة والبعث والحساب والجزاء ، وفصّل فيها ما أجمل في سابقتها من قصص الرسل عليهم السلام وهى مناسبة لها في فاتحتها وخاتمتها وتفصيل الدعوة في أثنائها، فقد افتتحتا بذكر القرآن بعد (الر) وذكر رسالة النبي المبلغ عن ربه، وبيان أن وظيفة الرسول إنما هي التبشير والإنذار وفى أثنائهما ذكر التحدي بالقرآن والرد على الذين زعموا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد افتراه، ومحاجّة المشركين في أصول الدين، وختمتا بخطاب الناس بالدعوة إلى ما جاء به الرسول ﷺ، ثم أمر الرسول ﷺفي الأولى بالصبر حتى يحكم الله بينه وبين الكافرين، وفى الثانية بانتظار هذا الحكم منه تعالى مع الاستقامة على عبادته والتوكل عليه.

وعلى الجملة فقد أجمل في كل منهما ما فصل في الأخرى مع فوائد انفردت بها كل منهما، فقد اتفقتا موضوعا في الأكثر واختلفتا نظما وأسلوبا مما لا مجال للشك في أنهما من كلام الرحمن، الذي علم الإنسان البيان][1]

(١)ـ تفسير المراغي :أحمد بن مصطفىٰ المراغي (المتوفىٰ: ١٣٧١هـ) مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولىٰ، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م ج١١ص١٦٧

" وسُميت السورة الكريمة بسورة " هود " تخليدا لجهود نبي الله هود في الدعوة إلى الله فقد أرسله الله تعالى إلى قوم " عاد " العتاة المتجبرين الذين اغتروا بقوة أجسامهم وقالوا من أشد منا قوة فأهلكهم الله بالريح الصرصر العاتية"(١)

" والسورة مكية وهي ــ كشأن سائر السور المكية ـــــ (تعني بأصول العقيدة الاسلامية التوحيد والرسالة والبعث والجزاء وقد عرضت لقصص الأنبياء بالتفصيل تسلية للنبي على ما يلقاه من أذى المشركين لاسيما بعد تلك الفترة العصيبة التي مرَّتْ عليه بعد وفاة عمه أبي طالب وزوجه خديجة فكانت الآيات تتنزل عليه وهي تقص عليه ما حدث لإخوانه الرسل من أنواع الابتلاء ليتأسى بهم في الصبر والثبات " (٢)

محاور السورة ومواضيعها :

وننقل هنا كلاما مطولا من موقع الكلم الطيب :

[وهذه السورة وأخواتها سورتي يونس السابقة وسورة يوسف هي أول ثلاث سور لأسماء أنبياء وكلما كان اسم السورة على اسم نبي كانت قصة هذا النبي هي محور السورة وفي ختام السورة تأتي أية تلخّص للقصة وكأنها قاعدة في كل السور المسماة بأسماء أنبياء. وهذه السور الثلاث نزلت في وقت واحد وبنفس الترتيب التي ورد في المصحف ونزلت السور الثلاث بعد وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها ووفاة عم الرسول ﷺأبو طالب وما لاقاه صلى الله عليه وسلم من أذى في

(١)ـ موقع المصحف الالكتروني .

(٢)ـ السابق

الطائف ورفض دعوته ونصرته من قبائل العرب وكانت تلك الفترة عصيبة جداً على الرسول ﷺ وعلى المسلمين في مكة لما لاقوه من أذى المشركين فمنهم من أمره الرسول ﷺ بالهجرة الى الحبشة ومنهم من بقي في مكة يتعرض للأذى والتضييق من قبل كفار قريش، فكأنما أنزل الله تعالى هذه الآيات تسلية للنبي ﷺ وتسرية عنه لأنها تقصّ عليه ما حدث لإخوانه الرسل من أنواع الابتلاء ليتأسّى بهم في الصبر والثبات. وجاءت السورة لتوضح لنا أن من يمر بهذه الأزمات والمحن قد يتصرف وفق أحد هذه التصرفات:

١. يفقد الأمل والعمل

٢. يتهور ويلجأ إلى العنف والتصرفات غير المحسوبة وتدمير الغير

٣. يركن للقوي ويعيش في ظله ويترك قضيته وينتهي أمره على هذا النحو.

لكننا نرى أن الرسل لم يأخذوا أي واحد من هذه التصرفات وكذلك جاءت الآيات تدعو الرسول صلى الله عليه وسلم لعدم التصرف بهذه التصرفات وإنما جاءت آية محورية التي هي أساس السورة والتي تدور الآيات حولها: (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) آية ١١٢ و(وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ) آية ١١٣. وهذه الآيات تضمنت التوجيه للرسول ﷺ والمسلمين كيف يتصرفون في هذه المحنة وفي أي محنة قد تصيبهم في أي زمن وفي أي مكان. إن هذه الآية تعالج حالة نفسية لأناس في وضع صعب للغاية فجاءت بالأمر الأول (استقم) أي اصبر واستمر بالدعوة، ثم جاء الأمر الثاني: (لا تطغوا) أي اياكم والتهور والطغيان وجاء الأمر الثالث: (ولا تركن) بمعنى إياك أن تعيش في ظل القوي وتستسلم له.

وهذه التوجيهات الثلاثة هي على عكس التصرفات المتوقعة ممن أصابته المحن، وقد قال الحسن رضي الله عنه: سبحان الذي جعل اعتدال الدين بين لائين: لا تطغوا ولا تركنوا.

وجاءت آيات السورة تتحدث عن نماذج من الأنبياء الذين أصابتهم المحن ولاقوا من المصاعب ما لاقوا خلال دعوتهم لأقوامهم ومع هذا كله صبروا واتبعوا هذه الأوامر الثلاث. وهذه السورة هي في غاية الأهمية للمسلمين لذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم :" شيّبتني هود وأخواتها"(١)

---

(١)ـ جزء من حديث" : حَدَّثَنَا عَبْدَانُ بْنُ أَحْمَدَ، حدثنا حَمَّادُ بْنُ الْحَسَنِ الْوَرَّاقُ، حدثنا سَعِيدُ بْنُ سَلَامٍ الْعَطَّارُ، حدثنا عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " شَيَّبَتْنِي هُودٌ وأَخَوَاتُهَا: الْوَاقِعَةُ، وَالْحَاقَّةُ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ " : المعجم الكبير للطبراني : سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفىٰ: ٣٦٠هـ) المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة الطبعة: الثانية عدد الأجزاء:٢٥ ج٦ ص ١٤٨ . وجاء الحديث أيضا في بعض الأسانيد منها مصنف عبد الرزاق الصنعاني نشر: المجلس العلمي- الهند وأيضا المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ ج٣/ ص ٣٦٨ بلفظ " شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا: سُورَةُ الْوَاقِعَةِ، وَسُورَةُ الْقِيَامَةِ، وَالْمُرْسَلَاتِ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ " قَالَ: وَأَحْسِبُهُ ذَكَرَ سُورَةَ هُودٍ" .. وينظر أيضا شرح السنة للبغوي ط المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ج ١٤ ص ٣٧٣ وفي مسند أبي يعلىٰ الموصلي تحقيق: حسين سليم أسد نشر: دار المأمون للتراث – دمشق الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٤ – ١٩٨٤ ج٢/ ص١٨٤ : " عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ شِبْتَ. قَالَ: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا» إسناده ضعيف . أما في سنن الترمذي=

تبدأ السورة بتمجيد القرآن العظيم الذي أحكمت آياته (الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) آية ١، وتدعو إلى توحيد الله تعالى (أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ) آية ٢. وعرضت الظروف الصعبة التي كان يعيشها المسلمون (أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) آية ٥. ويدعو الله تعالى رسوله للثبات والاستمرار في الدعوة رغم كل الظروف (فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) آية ١٢، وعرضت لعناصر الدعوة الإسلامية في ظل كل الظروف الصعبة عن طريق الحجج العقلية مع الموازنة بين فريقي الضلال والهدى وفرّقت بينهما كما تفرق الشمس بين الظلمات والنور (مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ) آية ٢٤ ويتحدث الربع الأول من السورة (أول ٣٠ آية) عن هذا المعنى: التكذيب شديد وتأثيره شديد على المسلمين.

= تحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ عدد الأجزاء: ٥ أجزاء ، ج ٥/ ٤٠٢ بلفظ " قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ شِبْتَ، قَالَ: شَيَّبَتْنِي هُودٌ، وَالوَاقِعَةُ، وَالمُرْسَلَاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ»: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ: وفي هامش نفس الصفحة : حكم الألباني : صحيح

ثم تنتقل الآيات تتحدث عن سبعة نماذج من الرسل الكرام وصبرهم على ما لاقوه من قومهم:

- قصة نوح عليه السلام أبي البشر الثاني ، وقد وردت قصة نوح في هذه السورة بتفصيل لم تذكره أية سورة أخرى من السور حتى سورة نوح نفسها. وتشرح كيف صبر نوح على قومه فقد لبث فيهم عمراً طويلاً أطول من أي نبي آخر خمسين وتسعمائة عاماً يدعوهم وهم على تعنتهم ويسخرون منه ولّما طلب الله منه أن يصنع الفلك استمرت هذه العملية سنوات عديدة حتى زرع الشجر ثم أخذ منها الخشب وصنع السفينة وكان يمكن لله تعالى أن يهلك قوم نوح من غير انتظار هذه المدة الطويلة لكن حكمته أرادت أن يظهر طول معاناة نوح وصبره كل هذه السنوات على الأذى حتى نتعلم منه الصبر مهما طال الأذى وعدم اليأس والاستمرار بالدعوة. ولم يكن رد نوح على قومه انفعالياً ولا غاضباً إنما قال: (قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللهُ إِن شَاء وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ) آية ٣٣. فكأنه استقام كما أمره الله وصبر على الدعوة واستمر فيها ولم يتهور في ردة فعله وإنما كان ينصح لهم: (الآيات٣٥،٣٤،٣٣،٣٢،٣١،٣٠،٢٩،٢٨) ولم يركن حتى الى ابنه الذي كان من المغرقين ولم ترد قصة ابن نوح إلا في هذه السورة لمناسبة ورودها لهدف السورة وتحقيق معنى لا تركن ولو كان الكافر الظالم من أهله (وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ) آية ٤٥ وآية ٤٧ (قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ) وتأتي العبرة في نهاية قصة نوح (فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ) آية ٤٩.

❁ ثم تأتي قصة هود مع قومه وقد سميت السورة باسمه تخليداً لجهوده الكريمة في الدعوة إلى الله فقد كان قومه من العتاة المتجبرين الذين اغتروا بقوتهم " وقالوا من أشد منا قوة .." كما جاء في سورة فصلت آية ١٥، فواجههم هود وكان رجلاً فرداً بين الجمّ الغفير من عتاة عاد الغلاظ الشداد وقد حقّرهم وانتقص آلهتهم وحثّهم على التصدي له ، وهي من أعظم الآيات أن يواجه بهذا الكلام رجل واحد أمة عطاشاً إلى إراقة دمه ، وذلك لثقته بربه وقد قال لهم هود كلاماً جامعاً في آية واحدة ما قالها نبي ولا رسول لقومه أبداً اشتملت كل المعاني الثلاثة التي ذكرناها سابقاً (إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللّهَ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ) الآيات ٥٤-٥٥-٥٦ - ٥٧. فكأنما جمعت هذه الآيات (استقم واصبر واستمر بالدعوة ولا تطغ ولا تركن الى الذين ظلموا) فلم يتحدث أحد بقوة وعدم ركون واصرار على الرسالة إلا سيدنا هود ولذا سمى الله تعالى السورة باسمه.

❁ ثم جاءت قصة نبي الله صالح ثم قصة لوط وشعيب ثم قصة موسى وهارون صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً ثم التعقيب المباشر بما في هذه القصص من العبر والعظات التي تدور حول محور السورة وتخدم أهدافها وتعرض صبر كل نبي على أذى قومه وعدم ركونه وطغيانه.

❁ ثم ختمت السورة الكريمة ببيان الحكمة من ذكر قصص المرسلين لتثبيت قلب النبي صلى الله عليه وبارك وسلم أمام الشدائد والأهوال التي تعرض لها (وَكُـلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَـذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) آية ١٢٠. ثم يعرض الله تعالى لنا كيفية تنفيذ الأوامر التي وصّانا بها ويدلنا أن العبادة هي التي تعين على الاستقامة (وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّـيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ) آية ١١٤، والصبر الآية ١١٥ (وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)، وكأنها الآيات كلها من الآية ١١٣ إلى نهاية السورة تعين على تنفيذ الهدف. وتختم السورة بالتوحيد كما بدأت به ليتناسق البدء مع الختام (وَللّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) آية ١٢٣.

ومن لطائف سورة هود البلاغية أن الأوامر بأفعال الخير أفردت للنبي صلى الله عليه وبارك وسلم وإن كانت عامة في المعنى (فاستقم كما أمرت، وأقم الصلاة، واصبر) وفي المنهيّات جمعت للأمة (ولا تطغوا، ولا تركنوا إلى الذين ظلموا]

انتهى هنا الكلام من موقع الكلم الطيب .[1]

(١)ـ موقع الكلم الطيب(من المواقع الإلكترونية)

مناسبة السورة لما قبلها :

جاء في نظم الدرر :

" لما ختمت السورة التي قبلها - كما ترى - بالحث على اتباع الكتاب ولزومه والصبر على ما يتعقب ذلك من مرائر الضير المؤدية إلى مفاوز الخير اعتماداً على المتصف بالجلال والكبرياء والكمال. ابتدأت هذه بوصفه بما يرغب فيه، فقال بعد الإشارة إلى إعادة القرع بالتحدي على ما سلف في البقرة: {كتاب} أي عظيم جامع لكل خير، ثم وصفه بقوله: {أحكمت} بناه للمفعول بياناً لأن إحكامه أمر قد فرغ منه على أيسر وجه عنه سبحانه وأتقن إتقاناً لا مزيد عليه {آياته} أي أتقنت إتقاناً لا نقص معه فلا ينقصها الذي أنزلها بنسخها كلها بكتاب آخر ولا غيره، ولا يستطيع غيره نقص شيء منها ولا الطعن في شيء من بلاغتها أو فصاحتها بشيء يقبل، والمراد ب {محكمات} في آل عمران عدم التشابه"(١)

(١)- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) ج ص٢٢٤: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة

ثانيا : التعريف بسورة القمر

مناسبة السورة لما قبلها :

جاء في تفسير المراغي :

" ومناسبتها لما قبلها من وجوه:

(١) مشاكلة آخر السورة السابقة لأول هذه فقد قال هناك: أزفت الآزفة، وقال هنا: اقتربت الساعة.

(٢) حسن التناسق بين النجم والقمر.

(٣) إن هذه قد فصلت ما جاء في سابقتها، ففيها إيضاح أحوال الأمم التي كذبت رسلها، وتفصيل هلاكهم الذي أشار إليه في السابقة بقوله: (وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عادًا الْأُولى. وَثَمُودَ فَما أَبْقى. وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغى النجم ٥٠، ٥١ ، ٥٢) فما أشبهها مع سابقتها بالأعراف بعد الأنعام، والشعراء بعد الفرقان " [1]

وجاء في نظم الدرر :

" لما ختمت النجم بالتهديد باقتراب القيامة التي ينكرونها بعد أن فتحها بالقسم بالنجم الذي هو أعم من القمر وغيره بتسييره طلوعاً وأفولاً وصعوداً وهبوطاً، افتتح هذه بذلك مع الدلالة عليه عقلاً وسمعاً في التأثير في أعظم آيات الله وغير

---

(١)ـ تفسير المراغي : أحمد بن مصطفىٰ المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابىٰ الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولىٰ، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م ج ٢٧ ص ٧٤

ذلك ليقطع العباد عن الفساد، ويستعدوا لها قبل مجيئها أحسن استعداد، فقال دالا على عظيم اقتداره عليها بتأنيث فعلها: {اقتربت الساعة} اشتدت قرباً الساعة: اللحظة التي لا ساعة في الحقيقة غيرها التي تقوم فيها القيامة لأنه قل ما بقي بيننا وبينها بالنسبة إلى ما مضى من زمن آدم عليه السلام لبعث خاتم الأنبياء الذي لم يبق بعد أمته أمة تنتظر، فيكون في الزمان مهلة لذلك ، ولما كان الإخبار باقترابها يحتاج عند المعاند إلى آية دالة عليه، وكانت الآيات السماوية أعظم، فالتأثير فيها أدل على تمام الاقتدار، وكان القمر أدل على الأنواء التي بها منافع الخلق في معاشهم، وكانت العرب أعرف الناس بها، دلهم على التأثير فيه على اقترابها مع الإرهاب من شدائد العذاب بإعدام الأسباب فقال: {وانشق} بغاية السرعة والسهولة {القمر} آية للرسول المنذر لكم بها "[1]

وجاء في موقع المصحف الالكتروني :

" سورة القمر رقم ٥٤ من سور القرآن وهي مكية .من المفصل . آياتها ٥٥ .

نزلت بعد الطارق . بدأت السورة بفعل ماضي ،لم يذكر لفظ الجلالة " الله " في السورة .

الجزء (٢٧) ، الحزب (٥٣) ، الربع (٣،٤) .

محور مواضيع السورة : سورة القمر من السور المكية ، وقد عالجت أصول العقيدة الإسلامية ، وهى من بدئها إلى نهايتها حملة عنيفة مفزعة على المكذبين بآيات

(١)ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج١٩/ ص٨٧

القرآن، وطابع السورة الخاص هو طابع التهديد والوعيد والإعذار والإنذار مع صور شتى من مشاهد العذاب والدمار" [١]

وجاء في موقع نور الهدى منتدى الدكتور أحمد جاد الإسلامي والأدبي تحت عنوان: تعريف بسورة القمر:

سورة القمر ، سورة مكية كلها (على رأي الجمهور) ، ويستدل لذلك بحديث عائشة رضي الله عنها قالت : لقد أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بمكة وأنا جارية ألعب { بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر } ، وعدد آياتها خمس وخمسون آية ، وترتيبها في المصحف الشريف : الرابع والخمسون .

سميت بالقمر لورود ذكر انشقاق القمر فيها ، وهي آية عظيمة ، ودليل قاطع على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وسميت كذلك بـ (اقتربت) لورود ذلك عن بعض الصحابة .

وسبب نزولها ما روي عن عبد الله بن مسعود قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت قريش : هذا سحر بن أبي كبشة سحركم ، فاسألوا السُّفَّار ، فسألوهم ، فقالوا : نعم قد رأينا ، وأنزل الله عز وجل : " اقتربت الساعة وانشق القمر . وإن يروا كل آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر " القمر١،٢ والسورة كشأن السور المكية عامة ، تعالج مسائل العقيدة ، وطابعها إنذار شديد للمشركين ، فهي من مطلعها إلى خاتمها ، حملة عنيفة على قلوب المكذبين بالنذر ، وفي الوقت نفسه طمأنينة وسكينة للقلوب المؤمنة المصدقة .

---

(١) موقع المصحف الإلكتروني .

والسورة منقسمة إلى حلقات متتابعة ، كل حلقة منها مشهد من مشاهد التعذيب للمكذبين ، ترهب الإحساس البشري { فكيف كان عذابي ونذر } ، ثم ترغبه {ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر } .

بدأت السورة بذكر معجزة شق القمر ، إحدى المعجزات التي أيد الله بها نبيه ﷺ؛ وكان المشركون قد وعدوا ، لئن شق لهم النبي القمر ، سيؤمنون به ، لكنهم أعرضوا بعدما رأوا الآية { اقتربت الساعة وانشق القمر . وإن يروا كل آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر . وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر } ، وظاهر الآية يفيد أن الانشقاق يقع آخر الزمان ، لكن الأحاديث أفادت وقوعه على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن ذلك ما رواه البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : " إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺأن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما "[1]

ثم تنتقل الآيات إلى الحديث عن القيامة ، حديثاً يجسد أهوالها " فتول عنهم . يوم يدع الداع إلى شيء نكر . خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر . مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر " القمر(٦ ، ٧).

ثم تحكي مصير الأمم السابقة ، وعاقبة الضلال والعناد منذ عهد نوح عليه السلام " كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر . فدعا ربه أني مغلوب فانتصر" القمر(٩ ، ١٠) مروراً بقوم عاد وثمود ولوط وفرعون "

(١) صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر نشر: دار طوق النجاة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ عدد الأجزاء: ٩ باب انشقاق القمر ج ٥ ص ٤٩

كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر . إنا أرسنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر . تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر " القمر(١٨ ، ١٩ ، ٢٠) .

ثم تأتي الآيات بالوعيد للكافرين ، عذاب في الآخرة ، ومذلة وخزي في الدنيا ﴿أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر . أم يقولون نحن جميع منتصر . سيهزم الجمع ويولون الدبر . بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ﴾ (القمر ٤٣ ـ ٤٦) .

وتختتم السورة ببيان مآل السعداء المتقين بعد ذكر مآل الأشقياء المجرمين ، على طريقة القرآن في الجمع بين الترغيب والترهيب ؛ مما يبشع العذاب يبرزه ، ويجلي النعيم ويزينه { إن المتقين في جنات ونهر . في مقعد صدق عند مليك مقتدر} القمر ٥٤، ٥٥ } .

وللسورة فضل عظيم ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بها وبقاف في عيدي الأضحى والفطر لاشتمالها على مقاصد عظيمة في تربية الأمة .

روى الإمام أحمد بسنده أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أبا واقد الليثي : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيد ؟ قال : بقاف واقتربت] انتهى [1]

(١)ـ موقع نور الهدىٰ منتدىٰ الدكتور أحمد جاد الإسلامي والأدبي والمقال منشور بتاريخ الأربعاء يوليو ٠٩، ٢٠٠٨ ٠٦:١٢pm

المبحـــــــــث الأول

الإيجـــاز والإطنـــاب تنظيـــرا

ونعتمد في هذا المبحث على كتابين من كتب التراث البلاغي وهما : كتاب الطراز للعلوي ، وكتاب : جواهر البلاغة للهاشمي . مع ملاحظات لي على بعض شواهد الإيجاز والإطناب الثابتة في تراثنا البلاغي ، وقد ناقشتها في هوامش بعض الصفحات الآتية .

ونبدأ أولا بما جاء في كتاب الطراز للعلوي ما نصه :

[النظر الخامس في الإيجاز والإطناب والمساواة :

اعلم أن الكلام بالإضافة إلى معناه كالقميص بالإضافة إلى قد من هو له، فربما كان على قدر قدّه من غير زيادة ولا نقصان، وهذا هو المساواة، وتارة يكون زائدا على قده وهذا هو الإطناب، وربما نقص عن قده، وهذا هو الإيجاز، فإذن الكلام لا يخلو عن هذه الأنواع الثلاثة، ونحن نذكرها.

النوع الأول الإيجاز

وهو في مصطلح أهل هذه الصناعة عبارة عن تأدية المقصود من الكلام بأقل عبارة متعارف عليها، ثم إنه يأتي على وجهين، أحدهما القصر، وهو الإتيان بلفظ قليل تحته معان جمة، وهذا كقوله تعالى: " وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ " [البقرة: ١٧٩] فإنه قد دلّ على معناه بأوجز عبارة وأخصرها، وقد فاق على ما أثر عن العرب في معناه من قولهم: «القتل أنفى للقتل» من أوجه، من جهة إيجازه، فإن حروفه عشرة، وما قالوه أربعة عشر حرفا، ومن جهة سلامته عن التكرار، ومن جهة تصريحه

بالمقصود، وهو لفظ الحياة، ومن جهة بلاغة معناه، فإن تنكير الحياة أعظم جزالة، وأبلغ فخامة، وغير ذلك من الأوجه التي تميز بها عن غيره، وكقوله تعالى: مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ [النساء: ١٢٣] فهذا كلام مختصر وجيز دال على معناه بحيث لا يدرك إيجازه، ولا ينال كنهه، ومنه قوله تعالى: في الزلزلة " فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)

وثانيهما إيجاز بالحذف، ومثاله قوله تعالى: وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيها وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنا فِيها

[يوسف: ٨٢] فإن الغرض أهل القرية، ويتبع في ذلك الأمور المحذوفة من حذف علة، أو جواب شرط، كقوله تعالى: وَلَوْ أَنَّما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللهِّ

[لقمان: ٢٧] المعنى لتنفد كلمات الله ما نفدت، ومنه قوله تعالى: وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتى " [الرعد: ٣١] التقدير لكان هذا القرآن، وقوله تعالى: وَلَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ

[الأنعام: ٢٧] التقدير فيه لشاهدوا ما تقصر العبارة عن كنهه، أو لتحسّروا وانقطعت أفئدتهم، لأن المقام مقام تهويل، فلا بد من تقديره كما ترى، وكقوله تعالى " وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا ما بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَما خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ "

[يس: ٤٥] التقدير فيه أعرضوا عن استماعه ونكصوا عن قبوله، ويدل عليه ما بعده، ومن أراد الاطلاع على حقيقة البلاغة من الإيجاز بالحذف، فعليه بتلاوة

سورة يوسف، فإنه يجد هناك ما فيه شفاء لكل علة، وبلال لكل غلّة.] انتهي من الطراز [1]

ومن كتاب جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ننقل هذا الاستيضاح المطول:

في الايجاز والاطناب والمساواة : يقول :

البابُ التاسع في الايجاز والاطناب والمساواة :

كلُّ ما يجُول في الصدر من المعاني، ويَخطُر ببالك معنى منها لا يعدُو التعبير عنه طريقاً من طرق ثلاث:

أولاً – إذا جاء التعبير على قدر المعنى، بحيث يكون اللفظ مساوياً لأصل ذلك المعنى – فهذا هو «المساواة» –

وهي الأصل الذي يكون أكثر الكلام على صورته، والدستور الذي يقاس عليه.

ثانياً – إذا اراد التعبير على قدر المعنى لفائدة، فذاك هو «الإطناب» فإن لم تكن الزيادة لفائدة فهي حشو: أو تطويل.

ثالثا– إذا نقص التعبير على قدر المعنى الكثير، فذلك هو «الايجاز»

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز يحيىٰ بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (المتوفىٰ: ٧٤٥هـ) دار المكتبة العلمية بيروت لبنان مراجعة وضبط وتدقيق محمد عبد السلام شاهين الطبعة الأولىٰ ١٩٩٥م(ص٥٤٦ وما بعدها)

فكلِّ ما يخطر ببال المتكلم من المعاني فله في التعبير عنه بإحدى هذه الطرق الثلاث، فتارةً (يوجزُ) وتارة (يُسهبُ) ، وتارة يأتي بالعبارة (بين بين) ولا يُعدّ الكلام في صورة من هذه الصور بليغاً: إلا إذا كان مطابقاً لمُقتضى حال المخاطب، ويدعو إليه مواطن الخطاب، فاذا كان المقام للإطناب مثلا، وعدلت عنه إلى: الايجاز، أو المساواة لم يكن كلامك بليغاً- وفي هذا الباب ثلاثة مباحث.

المبحث الأول في الإيجاز وأقسامه:

الإيجاز – هو وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل منها، وافية بالغرض المقصود، مع الإبانة والإفصاح، كقوله تعالى (خذ العفو وأمرُ بالعرف وأعرض عن الجاهلين. الأعراف ١٩٩)) فهذه الآية القصيرة جمعت مكارم الأخلاق بأسرها – وكقوله تعالى (ألا لهُ الخلقُ والأمر.. الأعراف ٥٤) وكقوله عليه الصلاة والسلام «إنّما الأعمال بالنِّيات» فاذا لم تف العبارة بالغرض سمى «إخلالا وحذفاً رديئا» كقول اليشكري :

والعيش خيرٌ في ظـــلا ل النــوك ممّن عاش كدا

مرادهُ: أنّ العيشَ الناعم الرغد في حال الحُمق والجهل، خيرٌ من العيش الشاق في حال العقل» لكن كلامه لا يُعدّ صحيحاً مقبولا. (١)

(١) أرىٰ أن في البيت احتباكا يخرجه من دائرة العيب والخلل ، والتقدير فيما أرىٰ والعيش الرغيد خير في ظلال النوك(أي الحمق والنزق) ممن عاش كدا في ظلال العقل والحلم ، فحذف من كل جملة ما يقابلها في الجملة الأخرىٰ كا هو مفهوم الاحتباك . ،

وينقسم الإيجاز إلى قسمين، إيجاز قصرٍ وإيجاز حذف :

(فإيجاز القصر) «ويسمى إيجاز البلاغة» يكون بتضمين المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة من غير حذف، كقوله تعالى (ولكم في القصاص حياة) ، فان معناه كثير، ولفظه يسير، إذ المراد بأن الانسان إذا علم أنه متى قتل قُتل: امتنع عن القتل، وفي ذلك حياته وحياة غيره، لأن القتل أنفى للقتل وبذلك تطول الأعمار، وتكثر الذرية، ويقبل كل واحد على ما يعود عليه بالنفع، ويتم النظام، ويكثر العمران.

فالقصاص: هو سبب ابتعاد الناس عن القتل، فهو الحافظ للحياة

وهذا القسم مطمح نظر البلغاء، وبه تتفاوت أقدارهم، حتى أن بعضهم سُئل عن (البلاغة) فقال: هي «إيجاز القصر» وقال أكثم بن صيفي خطيب العرب «البلاغة الإيجاز» (وايجاز الحذف) يكون بحذف شيء من العبارة لا يخلّ بالفهم، عند وجود ما يدل على المحذوف، من قرينة لفظية _ أو معنوية وذلك المحذوف - إما أن يكون.

(١) حرفاً - كقوله تعالى (ولم أكُ بغياً . مريم ٢٠)- أصله: ولم اكن

(٢) أو اسماً مضافاً نحو - (وجاهدوا في الله حق جهاده .الحج ٧٨) أي: في سبيل الله

(٣) أو اسما مضافاً إليه - نحو (وَوَاعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر.. الأعراف ١٤٢) أي: بعشر ليال.

(٤) أو اسما موصوفاً - كقوله تعالى (ومن تاب وعمل صالحاً .. الفرقان ٧١) أي: عملا صالحاً.

(٥) أو اسما صفةً – نحو (فزادتهم رجساً إلى رجسهم .. التوبة ١٢٥) أي: مضافا إلى رجسهم.

(٦) أو شرطاً – نحو (فاتبعوني يحببكم الله .. آل عمران ٣٢) أي: فان تتبعوني.

(٧) أو جواب شرط – نحو (ولو ترى إذ وقفوا على النار .. الأنعام ٢٧) أي: لرأيت أمراً فظيعاً.

(٨) أو مسنداً – نحو (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله .. لقمان ٢٥) أي: خلقهن الله.

(٩) أو مسنداً إليه – كما في قول حاتم

أماوِيُّ ما يغني الثراء عن الفتى ❊❊❊ إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

أي إذا حشرجت النفس يوماً

(١٠) أو مُتعلقا – نحو: (لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون . الأنبياء ٢٣) أي عمّا يفعلون

(١١) أو جملة – نحو (كان الناسُ امةً واحدة فبعث الله النبيين . البقرة ١١٣) أي فاختلُفوا: فبعث.

(١٢) أو جُمَلا – كقوله تعالى (فأرسلون يوسف أيها الصديقُ . يوسف ٤٥ ، ٤٦) أي فأرسلوني إلى يوسف لأستعبره الرؤيا، فأرسلوه فأتاه، وقال له: يوسف والعلم أنّ دواعي الإيجاز كثيرة- منها الاختصار، وتسهيل الحفظ وتقريب الفهم، وضيق المقام، وإخفاء الأمر على غير السَّامع، والضجر والسآمة، وتحصيل المعنى الكثير باللفظ اليسير – الخ.

ويُستحسن «الإيجاز» في الاستعطاف، وشكوى الحال، والاعتذارات والتعزية، والعتاب، والوعد، والوعيد – والتوبيخ، ورسائل طلب الخراج، وجباية الأموال، ورسائل الملوك في أوقات الحرب إلى الولاة والأوامر: والنواهي الملكية، والشكر على النعم. ومرجعك في ادراك أسرار البلاغة إلى الذوق الأدبي والإحساس الروحي

المبحث الثاني في الإطناب وأقسامه

الإطناب: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، أو هو تأدية المعنى بعبارة زائدة عن متعارف أوساط البلغاء: لفائدة تقويته وتوكيده – نحو (رب إني وهنَ العظم مني واشتعل الرأس شيبا . مريم ٣) – أي: كبرتُ فاذا لم تكن في الزيادة فائدة، يسمى «تطويلا» إن كانت الزيادة في الكلام غير متعينة.

ويسمى «حشواً» إن كانت الزيادة في الكلام متعينة لا يفسد بها المعنى فالتطويل كقول عدي العبادي: في جذيمةَ الأبرش:

وقدَّدت الأديم لراهشيه *** وألفى قولها كذباً ومينا[1]

(١) وقددت أي قطعت، والضمير فيه يعود علىٰ الزباء، وهي امرأة ورثت الملك عن أبيها – والأديم الجلد، ولراهشيه، أي: إلىٰ أن وصل القطع للراهشين، وهما عرقان في باطن الذراع يتدفق الدم منهما عند القطع – والضمير في ألفىٰ يعود علىٰ راهشيه، وهو جذيمة الابرش، والمراد الاخبار بأن جذيمة غدرت به الزباء، وقطعت راهشيه، وسال منه الدم حتىٰ مات، وأنه وجد ما وعدته من تزوجه بها كذبا ومينا – وهما بمعنىٰ واحد، وإحدىٰ الكلمتين زائدة فلا يتغير المعنىٰ بإسقاط أيهما شئت . انتهىٰ من هامش جواهر البلاغة (ص: ٢٠١)

فالمينُ والكذب بمعنى واحد. ولم يتعين الزائد منهما، لأن العطف بالواو: لا يفيد ترتيباً ولا تعقيباً ولا معية، فلا يتغير المعنى بإسقاط أيهما شئت. (١)

---

(١) ولي الملاحظات علىٰ بعض شواهد التطويل الذي يكون اللفظ الزائد فيه غير متعين مما جاء في كتب المتأخرين ، ومن ذلك : قول الشاعر: أَبُو أَحْمَد بن أَبِي بَكْرٍ الكَاتِبُ: =

إِذَا لَمْ يكُنْ لِلْمَرْءِ فِي دَوْلَةِ امْرِئٍ ... نَصِيْبٌ وَلَا حَظٌّ تَمَنَّىٰ زَوَالَهَا

=قالوا إن بين "نصيب- وحظ " اتفاقًا في المعنىٰ جعل إحدىٰ اللفظتين تطويلاً مخلاً بفصاحة العبارة .. ولكن عند الرجوع إلىٰ كتب الفروق اللغوية بين الألفاظ التي يبدو بينها تطابق تام واتفاق في المعنىٰ وجدت أن كلمة "نصيب " تختلف في المعنىٰ الدقيق عن كلمة "حظ" حيث إن النصيب يكون في المحبوب والمكروه والحظ لا يكون إلا في المحبوب ، والنصيب ما نصب للإنسان بالمقاسمة ، والحظ يأتي للإنسان هبة وعفواً بدون مقاسمة، ولذلك يقال لفلان حظ وهو محظوظ علىٰ سبيل المدح والغبطة ، ولا يقال به نصيب إلا فيما عين له عن طريق المقاسمة المحددة ، سواء ارتفع به شأن أم لا ، ولهذا أيضا يقال لفلان حظ في التجارة ولا يقال له نصيب فيها لأن الربح الذىٰ يناله فيها ليس عن مقاسمة (ينظر الفروق واللغوية لأبىٰ هلال العسكري ص ١٣٦ ط دار مكتب العلمية)

والجمع بين هاتين اللفظتين في البيت – علىٰ ضوء هذه التفرقة الدقيقة – يجعل لكل لفظ دقيقة في المعنىٰ يختلف بها عن الآخر ، وبهذا لا يكون هناك تكرار للمعنىٰ الواحد وينتفي إذن التطويل المخل ببلاغة الكلام ، وفي ضوء هذه التفرقة اللغوية الدقيقة بين اللفظتين يكون معنىٰ البيت أن المرء الحاسد للغير يتمنىٰ زوال نعمة هذا الغير حين لم تربطه بهذه النعمة أي رابطة سواء أكانت هذه الرابطة هبة أو مقاسمة وهذا هو سر الجمع بين اللفظتين في البيت وعلىٰ هذا فليس فيه إخلال أو انتقاص من بلاغته هذا ما أراه والله أعلم .

ينظر في توثيق البيت : الدر الفريد وبيت القصيد المؤلف: محمد بن أيدمر المستعصمي (٦٣٩ هـ - ٧١٠ هـ)

المحقق: الدكتور كامل سلمان الجبوري الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولىٰ، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

ج ٣/ ص ١٤٥

كذلك من شواهد التطويل مما جاء في تراثنا البلاغي قول الحطيئة:

ألا حبذا هند وأرض بها هند ❊❊❊ وهند أتىٰ من دونها النأي والبعد=

=فقد قالوا إن النأي والبعد بمعنىٰ واحد ، وبهذا تكون إحدىٰ الكلمتين زائدة ولا يعرف بالتحديد الزائد منهما ، وعلىٰ هذا يتحقق التطويل المنتقص من بلاغة البيت ، ولكن بالرجوع إلىٰ مظان الفروق اللغوية وجد بين اللفظتين فروق دقيقة تجعل المعنىٰ في البيت في قمة الفصاحة والبلاغة ، وقد جاء كلاهما في القرآن الكريم يقول تعالىٰ " وإذا أنعمنا علىٰ الإنسان أعرض ونأىٰ بجانبه " (الإسراء ٨٣) ويقول تعالىٰ " وهم ينهون عنه وينأون عنه " (الأنعام ٢٦) فالنأي بمعنىٰ الإعراض = = و الصد والإشاحة بصريح السياق في آيات القرآن الكريم ، أما البعد فيأتي علىٰ الحقيقة في البعد المكاني أو الزماني أو المادي أو المعنوي فالبعد نقيض القرب و النأي نقيض الإقبال ، قال تعالىٰ : " إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا " المعارج (٦) ويقول تعالىٰ في سورة سبأ : " وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٥٢) وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٥٣) .

وعندما نعيد قراءة البيت في ضوء هذه المعاني فإني لا أرىٰ فيه تكرارا للمعنىٰ وإنما عندنا لفظتان (النأي والبعد) لكل منهما فريدة في المعنىٰ تجعله يغاير الآخر ولا يعيده أو يكرره ، وفي ضوء ذلك يمكن أن نفهم المعنىٰ في البيت فهما جديدا يبرئه من التطويل المخل ببلاغة البيت ، بل إن اللفظتين كلتيهما أهدت إلىٰ المعنىٰ ثراء و اتساعا يجعله في قمة البلاغة والبيان ، فهند لم تجلب إلىٰ الشاعر الوله العاشق إلا النأي (أي الإعراض والصد والهجر) والبعد الذي هو ضد القرب ، فالشاعر إذن معذب بما جلب إليه من النأي والبعد المنبعثين من جانب عشيقته ومحبوبته هند ، وفي ذلك ما فيه من التأوه والألم الذين يجسمان علىٰ قلب الشاعر الوله الهائم في حب محبوبته هند .

والحشو – كقول زهير بن أبي سلمى:

وأعلمُ علم اليوم والأمس قبله *** ولكنني عن علم ما في غد عمي

وكل من الحشو والتطويل معيبٌ في البيان، وكلاهما بمعزل عن مراتب البلاغة

واعلم ان دواعي الاطناب كثيرة، منها تثبيت المعنى، وتوضيح المراد والتوكيد، ودفع الايهام، وإثارة الحمية – وغير ذلك وأنواع الاطناب كثيرة :

(١) منها – ذكر الخاص بعد العام: كقوله تعالى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى . البقرة ٢٣٨) وفائدته التنبيه على مزية: وفضلٍ في الخاص حتى كأنه لفضله ورفعته، جزءٌ آخرُ، مغاير لما قبله ولهذا خص الصلاة الوسطى (وهي العصر) بالذكر لزيادة فضلها.

(٢) ومنها – ذكر العام بعد الخاص: كقوله تعالى : (رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات . نوح ٢٨) وفائدته شمول بقية الأفراد، والاهتمام بالخاص لذكره ثانياً في عنوان عام، بعد ذكره أولا في عنوان خاص.

وفي ضوء هذا التتبع لما جاء في هذين الشاهدين وما سبقهما من قول الشاعر " والعيش خير في ظلال النوك ممن عاش كدا في ص هامش ص ١٤" وغيرها مما تحدر إلينا من شواهد الإيجاز والإطناب في تراثنا البلاغي والتي قرر البلاغيون أن فيها إخلالا ببلاغة الإيجاز أو الإطناب

- فإني أرىٰ أن كثرة من هذه الشواهد في حاجة إلىٰ إعادة قراءة ومراجعات حتىٰ تفهم فهما جديدا يبرئها من هذه التهم التي غدت ثوابت ومقررات في تراثنا البلاغي تجعلها في منأىً عن الفصاحة والبلاغة أو علىٰ الأقل تنتقص من بلاغتها وفصاحتها .

(٣) ومنها – الإيضاح بعد الإبهام، لتقرير المعنى في ذهن السامع بذكره مرتين، مرة على سبيل الإبهام والإجمال، ومرّة على سبيل التفصيل والإيضاح، فيزيده ذلك نبلا وشرفاً كقوله تعالى: (يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم الصف ١٠ ، ١١) – وكقوله تعالى (وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوعٌ مصبحين . الحجر ٦٦) فقوله (أن دابر هؤلاء) تفسير وتوضيح لذلك (الأمر) المبهم وفائدته توجيه الذهن إلى معرفته، وتفخيم شأن المبين، وتمكينه في النفس فأبهم في كلمة (الأمر) ثم وضحه بعد ذلك تهويلا لأمر العذاب.

(٤) ومنها – التوشيع: وهو أن يؤتى في آخر الكلام بمثنى مفسر بمفردين ليُرى المعنى في صورتين، يخرج فيهما من الخفاء المستوحش إلى الظهور المأنوس، نحو: العلم علمان، علم الأبدان، وعلم الأديان.

(٥) ومنها : التكرير – وهو ذكر الشيء مرتين أو أكثر – لأغراض

الأوّل – التأكيد وتقرير المعنى في النفس كقوله تعالى (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون التكاثر ٣ ، ٤) وكقوله تعالى (فانَّ مع العُسر يُسراً إن مع العُسر يُسرا . الشرح٥ ،٦)

الثاني – طول الفصل – لئلا يجئ مبتوراً ليس له طلاوة كقوله تعالى «يا أبتِ إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين " يوسف ٦) ، فكّرر (رأيت) لطول الفصل – ومن هذا قول الشاعر:

وإنَّ امرأ دامت مواثيق عهده *** على مثل هذا إنه لكريمُ

الثالث – قصد الاستيعاب: نحو – قرأت الكتاب باباً باباً – وفهمته كلمة كلمة

الرابع – زيادة الترغيب في العفو – كقوله تعالى (إنّ من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم، وإن تعفو وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم .التغابن ١٤

الخامس – الترغيب في قبول النصح باستمالة المخاطب لقبول الخطاب كقوله تعالى (وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاعٌ وإن الآخرة هي دار القرار : غافر ٣٨ ، ٣٩) – ففي تكرير (يا قوم) تعطيف لقلوبهم، حتى لا يشكوا في إخلاصه لهم في نصحه.

السادس – التنويه بشأن المخاطب: نحو – إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن ابراهيم.

السابع – التّرديد: وهو تكرار اللفظ متعلقاً بغير ما تعلق به أولا نحو – السخي: قريب من الله، قريبٌ من الناس، قريب من الجنة والبخيل: بعيدٌ من الله، بعيدٌ من الناس، بعيدٌ من الجنة.

الثامن – التلذذ بذكره، نحو قول مروان بن أبي حفصة

سقى الله نجداً والسلام على نجد *** ويا حبذا نجد على القُرب والبعد

التاسع – الارشاد إلى الطريقة المثلى، كقوله تعالى (أولى لك فأولى ثمّ أولى لك فأولى " ٣٤ ، ٣٥ القيامة)

(٦) ومنها – الاعتراض لغرض يقصده المتكلم – وهو أن يؤتى في اثناء الكلام، أو بين كلامين متَّصلين في المعنى، بجملة معترضة: أو أكثر، لا محل لها من الاعراب : وذلك لأغراض يرمي إليها البليغ – غيرَ دَفع الإيهام

(أ) كالدعاء – نحو: إني «حفظك الله» مريضٌ.

وكقول عوف بن محلم الشيباني :

إن الثمانين وبُلغتَها *** قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

جاء في هامش (ص: ٢٠٤) من الكتاب نفسه : واعلم أن الدعاء من الشاعر موجه إلى المخاطب بطول عمره – وأن يعيش مثله ثمانين سنة .

(ب) والتنبيه على فضيلة العلم – كقول الآخر :

واعلم فعلمُ المرء ينفعُه *** أن سوف يأتي كل ما قُدرا

(جـ) والتّنزيه – كقوله تعالى (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون . النحل ٥٧)

(د) وزيادة التأكيد – كقوله تعالى (وَوَصينا الإنسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولولديكَ إليَّ المصير. لقمان ١٤)

(هـ) والاستعطاف – كقول المتنبي :

وخفوقِ قلب لو رأيت لهيبه*** يا جنّتي لرأيت فيه جهنَّما

(و) والتهويل – نحو (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم . الواقعة ٧٦)

(٧) ومنها الإيغال – وهو ختم الكلام بما يُفيد نُكتة، يتم المعنى بدونها– كالمبالغة: في قول الخنساء:

وإن صخرا لتأتم الهداة به *** كأنه علمٌ في رأسه نارُ

فقولها: «كأنه علم» وافٍ بالمقصود، لكنها أعقبته بقولها «في رأسه نار «لزيادة المبالغة، ونحو: قوله تعالى (والله يرزق من يشاء بغير حساب النور ٣٨) .

(٨) ومنها التذييلُ – وهو تعقيب جملة بجملة أخرى مستقلّة، تشتمل على معناها، تأكيداً لمنطوق الأولى، أو لمفهومها – (٢) نحو: قوله تعالى (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا . الإسراء ٨١) .

ونحو: قوله تعالى (ذلكَ جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور . سبأ ١٧)

والتَّذييلُ «قسمان» قسمٌ يستقلُّ بمعناه، لجريانه مجرى المثل وقسمٌ لا يستقل بمعناه، لعدم جريانه مجرى المثل، فالأول: الجاري مجرى الأمثال، لاستقلال معناه، واستغنائه عما قبله كقول طرفةَ:

كلُّ خليل قد كنت خاللته *** لا ترك الله له واضحه

كلّكم أروغُ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحة

والثاني: غير الجاري مجرى الأمثال، لعدم استغنائه عمّا قبله، ولعدم استقلاله بإفادة المعنى المراد، كقول النّابغة:

لم يُبق جُودك لي شيئاً أؤمِّلهُ تركَتني أصحب الدنيا بلا أملِ

فالشطر الثاني: مؤكد للأول، وليس مستقلا عنه، فلم يجر مجرى المثل.

(٩) ومنها الاحتراس – ويقال له التكميل، وهو أن يُؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود، بما يدفع ذلك الوهم)

فالاحتراس: يوجد حينما يأتي المتكلم بمعنى، يمكن أن يدخل عليه فيه لومٌ، فيفطن لذلك: ويأتي بما يخلّصه، سواء أوقع الاحتراس في وسط الكلام.

كقول طرفة بن العبد:

فَسَقى ديارَك غير مُفسدها *** صوبُ الرَّبيع وَديمَةٌ تهمى

فقوله: غير مفسدها: للاحتراس، في هامش (ص: ٢٠٥) من نفس الكتاب : لما كان دوام المطر مما يسبب الخراب، دفع هذا الوهم بقوله (غير مفسدها)

أو وقع الاحتراس في آخره، نحو: (ويُطعمون الطعام على حبه" . الإنسان ٨)

أي: مع حب الطعام واشتهائهم له، وذلك أبلغ في الكرم، فلفظ على حبه فضلة

للاحتراس ولزيادة التحسين في المعنى، وكقول أعرابية لرجل (أذلَّ الله كل عدوّ لك إلا نفسك) .

(١٠) ومنها التَّتميم – وهو زيادةُ فضلة، كمفعول – أو حال أو تمييز – أو جار ومجرور، توجد في المعنى حُسنا بحيث لو حذفت صار الكلام مبتذلا كقول ابن المعتز يصف فرساً

صَببنا عليها (ظالمين) سيَاطنا *** فطارت بها أيد سراعٌ وأرجلُ

إذ لو حذف (ظالمين) لكان الكلام مُبتذلا، لا رقة فيه ولا طلاوة وتوهَّم أنها بليدة تستحق الضرب.

ويُستحسن الإطناب في الصلح بين العشائر، والمدح، والثناء، والذّم والهجاء،

المبحث الثالث في المُساواة

المُساواة – هي تأديةُ المعنى المراد: بعبارة مساوية له

– بأن تكون الألفاظ على قدر المعاني، لا يزيد بعضها على بعض، ولسنا بحاجة إلى الكلام على المساواة، فإنها هي الأصل المقيس عليه، والدستور الذي يُعتمد عليه، كقوله تعالى (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله . المزمل ٢٠) ، وكقوله تعالى (كل امرئ بما كسب رهين . الطور ٢١) وكقوله تعالى (من كفر فعليه كُفره . الروم ٤٤) ، وكقوله صلى الله عليه وسلم (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) فإن اللفظ فيه على قدر المعنى، لا ينقص عنه، ولا يزيد عليه، وكقول طرفةَ بن العبد:

ستُبدى لك الأيام ما كنت جاهلا *** ويأتيك بالأخبار من لم تزَود

هذه أمثلة للمساواة، لا يستغنى الكلام فيها عن لفظ منه، ولو حُذف منه شيء لأخلّ بمعناه.

وجاء في هامش صفحة (٢٠٧) من الكتاب نفسه : " المساواة هي ما سوي لفظه معناه: بحيث لا يزيد أحدهما على الآخر – وهي نوعان الأول – مساواة مع الاختصار، وهي أن يتحرى البليغ في تأدية المعنى أوجز ما يكون من الالفاظ القليلة الأحرف، الكثيرة المعاني – كقوله تعالى (هل جزاء الاحسان إلا الاحسان . الرحمن ٦٠) وكقوله تعالى (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله . فاطر ٤٣) . والثاني ـ مساواة بدون اختصار «ويسمى متعارف الاوساط» وهو تأدية المقصود من غير طلب الاختصار. كقوله تعالى (حور مقصورات في الخيام . الرحمن ٧٢) .

والوجهان في المركز الأسمى من البلاغة ـ غير أن الأول أدخل فيها وأدل عليه والمساواة فن من القول عزيز المنال، تشرئب إليه أعناق البلغاء، لكن لا يرتقي إلى ذراه إلا الأفذاذ لصعوبة المرتقى، والمساواة يعتبرها بعضهم وسطا بين الايجاز والاطناب ـ وبعضهم يدمجها، ولا يعدها قسما ثالثا للإيجاز والإطناب. انتهى من كتاب جواهر البلاغة] انتهي من كتاب جواهر البلاغة [1]

(١)جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن مصطفىٰ الهاشمي (المتوفىٰ: ١٣٦٢هـ) ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي الناشر: المكتبة العصرية، بيروت ص: وما بعدها ١٩

المبحث الثاني

قضايا تتعلق ببحث الإيجاز والإطناب في السورتين

ونقف في هذا المبحث عند القضايا الآتية :

أولا : وقفة عند مفهوم مقتضى الحال :

إذا كانت هذه الدراسة تنطلق من الإيجاز والإطناب في القصة بين السورتين فإنه لابد من وقفة أولا عند مقتضى الحال الذي وجه القصة إيجازا هنا وإطنابا هناك ، ومن الجدير إذن أن نقف عند مفهوم مقتضى الحال عند البلاغيين .

ونستأنس هنا بكلام شيخنا الدكتور محمد أبو موسى حول هذا المفهوم وفيه كل الكفاية ، يقول في خصائص التراكيب "" الحال عند البلاغيين هو الأمر الذي يدعو المتكلم إلى أن يعتبر في كلامه خصوصية ما، أي هو ذلك الداعي الذي يهتف بالفطرة الصادقة إلى أن تجري صياغة العبارة على طريق دون آخر.. أما مقتضى الحال، فهو الأمر العام الذي يقتضيه الحال كالتعريف، والتنكير أو التقديم أو التجوز في النسبة، أو الحذف أو التشبيه أو غير ذلك من الأحوال المختلفة التي يرد عليها التعبير.. ومطابقة هذا لمقتضى الحال هو ما ترد عليه العبارة كالتعريف الوارد في قولك: هو الرجل، والتنكير في قول الخنساء : (يوما) والتجوز في قولها هي إقبال[1] أي هو واحد من أحاد التعريف جاء عليه الكلام ، أو واحد من آحاد

(١) يلتقط هذه الكلمات من أبيات الخنساء في رثاء أخيها صخر وهو بصدد التعليق عليها :

فما عجول لدىٰ بو تطيف به ... لها حنينان إعلان وإسرار

أودىٰ به الدهر يوما فهي مرزمة ... قد ساعدتها علىٰ التحنان أظآر

ترتع ما غفلت حتىٰ إذا ادكرت ... فإنما هي إقبال وإدبار =

التنكير إلى آخره ، وهذه فروق دقيقة، قال الخطيب: "ومقتضى الحال مختلف فإن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة، وكذلك خطاب الذكي يباين خطاب الغبي، وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام. والكلام الذي تتوفر فيه الخصائص المشيرة إلى ألوان المعاني هو الكلام الجيد الممتاز، وترتفع منزلته وتنخفض تبعا لهذه الحالة، فكلما كان الكلام بخصائص تراكيبه أكثر شمولا، واستيعابا للفكر والشعور كان أعلى، وواضح أن كثرة الخصوصيات التي هي من عوامل ارتفاع شأن الكلام، والحكم عليه بالجودة هي الخصوصيات التي وراءها رصيد من الأفكار، والمعاني اهـ "[1]

ثانيا : مقام الحال للإيجاز والإطناب بين السورتين :

وبالنظر إلى مقام الحال الذي وجَّه القصة إلى الإطناب في سورة هود فإنه يرجع ــ فيما أرى ــ إلى ثلاثة أمور ، أمر خارج عن النص القرآني ولكنه شديد الصلة به إذ هو السبب في نزول السورة ، وأمرين متولدين عن بنية النص القرآني وسياقه ومقتضى الحال .

أما الأمر الأول والذي هو خارج عن النص ولكنه سبب فيه : فهو ما يتعلق بسبب النزول والجو الذي نزلت فيه سورة هود والفترة العصيبة التي نزلت فيها ،

=يوما بأوجع مني يوم فارقني ... صخر وللعيش إحلاء وإمرار ..

خصائص التراكيب ص ٤٠، ط الثانية ١٩٨٠ وهبة

(١) خصائص التراكيب ٣٩، ٤٠، ط الثانية ١٩٨٠ وهبة

وهي فترة تقتضي التسرية والترويح عن نفس النبي صلى الله عليه وسلم وتثبيت قلبه عليه الصلاة والسلام ـــ في إفاضة وبسط في البيان من قبل ربه سبحانه وتعالى واستعراض لقصص السابقين له من الأنبياء والرسل ، والذين تعرضوا لما تعرض له عليه الصلاة والسلام من جحود وكفران وصدود وعداوة من قبل أقوامهم ، يوضح هذه الفترة العصيبة صاحب ظلال القرآن في معرض تقدمته لسورة هود إذ يقول " وهي من أحرج الفترات وأشقها في تاريخ الدعوة بمكة . فقد سبقها موت أبي طالب وخديجة ، وجرأة المشركين على ما لم يكونوا ليجرؤوا عليه في حياة أبي طالب - وخاصة بعد حادث الإسراء وغرابته ، واستهزاء المشركين به ، وارتداد بعض من كانوا أسلموا قبله - مع وحشة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـــ من موت خديجة - رضي الله عنها - في الوقت الذي تجرأت فيه قريش عليه وعلى دعوته، وبلغت الحرب المعلنة عليه وعلى دعوته أقسى وأقصى مداها ، وتجمدت حركة الدعوة حتى ما كاد يدخل في الإسلام أحد من مكة وما حولها . . وذلك قبيل أن يفتح الله على رسوله وعلى القلة المسلمة معه ببيعة العقبة الأولى ثم الثانية . .. ففي هذه الفترة نزلت سورة هود ويونس قبلها، وقبلهما سورة الإسراء وسورة الفرقان وكلها تحمل طابع هذه الفترة ، وتُحدِّ ثُ هذه السور عن مدى تحدي قريش وتعديها .. وآثار هذه الفترة وجوها وظلالها واضحة في جو السورة وظلالها وموضوعاتها ! وبخاصة ما يتعلق بتثبيت رسول

الله ــ صلى الله عليه وسلم ـــ والذين معه على الحق ، والتسرية عنه مما يساور قلبه من الوحشة والضيق والغربة في المجتمع الجاهلي[١] .

اقتضت طبيعة سورة هود إذن ـــ ومقام الحال هكذا أن تنزل مفصِّلة قصص الأنبياء مع أقوامهم تفصيلا ، وذلك من أجل الإفاضة في تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم والتسرية عن قلبه المحزون ، كما قال تعالى في آخر السورة "وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ " . (هود ١٢٠)

أما سورة القمر فلم تنزل في مثل هذه الظروف العصيبة التي واكبت نزول سورة هود ، بجانب أنها إحدى سور المفصَّل [٢] " وهي سور قصار بالنسبة لمثل سورة هود ، بجانب أن سور المفصل هي في حكم الملخِّصة لهذه السور الطوال في الموضوعات والقصص والدروس والعبر يقول الدكتور محمود توفيق : " والمفصّل مَنْزِلُهُ مَنْزِلُ ملخَّص القرآن، فهي كالختام لمراحل السياق الكلّي للمعنى

(١) في ظلال القرآن مطلع تفسير سورة هود

(٢)تبدأ سور المفصل بسورة الحجرات أو بسورة ق إلىٰ آخر القرآن علىٰ المشهور عند أهل العلم ومنهم من قال إلىٰ أنه من أول سورة الفتح ومنهم من ذهب إلىٰ أنه يبدأ بسورة الصافات . ورجح الحافظان ابن كثير وابن حجر إلىٰ البداية بسورة ق ـ والكل متفق علىٰ أنه ينتهي بآخر القرآن . ينظر في ذلك " التعريف بالقرآن الكريم (ص: ١ المؤلف: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، وينظر معجم المصطلحات القرآنية المؤلف: الدكتور عبد الرحيم فانيا مبادي (ص: ١٩، بترقيم الشاملة آليا)

القرآنيّ الكريم.[1]" وسبب تسمية سور المفصل بهذا الاسم يرجع إلى كثرة الفصل بينها كثيرا بالبسملة بسبب قصرها بالنسبة للسور الطوال .[2]

فبحكم قِصَر سورة القمر بالنسبة لسورة هود إذن فقد جاءت القصص فيها موجزة قصيرة مركِّزة على مشهد العقاب الذي نزل بالأمم التي كفرت بأنبيائها وتمردت على دعوتها ورسالتها .

وأما الأمر الثاني من مقتضى الحال للإيجاز والإطناب بين السورتين فهو ما يتعلق بالنسق النظمي الذي جاءت فيه السورتان ، فسورة هود جاءت وسطا بين سورتين من السور الطوال سورة يونس عليه السلام وسورة يوسف عليه السلام، وكلا السورتين فصلت فيها الموضوعات والقصص تفصيلا ، فمقتضى التناسق القرآني إذن أن تأتي سورة هود في هذا النسق المفصل للأحداث ولقصص الأنبياء ، وبالنظر إلى سورة القمر نجدها قد جاءت في نسق آخر من النظم القرآني الذي يقوم علي الإيجاز في استعراضه للموضوعات والقصص ، وهي سور المفصل كما سبق أن بينت قبل قليل .

أما الأمر الثالث المتعلق ببنية النص والنظم ، والذي اقتضى الإطناب في سورة هود والإيجاز في سورة القمر ، فهو ما يتعلق بمطلع السورتين واستهلالهما. فسورة

---

(١) الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن د .محمود توفيق محمد سعد ص: ١٦٦، وكتابه " العزفُ علىٰ أنوار الذِّكر معالم الطريق إلىٰ فقه المعنىٰ القرآنيّ في سياق السورة (ص: ٥٣، بترقيم الشاملة

(٢)من موقع الإسلام سؤال وجواب والمشرف عليه الشيخ محمد صالح المنجد تاريخ النشر ا/ ١١/ ٢٠٠٩

هود تبدأ بما يشير إلى التفصيل والبيان والشرح وذلك في قوله تعالى " أ لر . كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير " فكان من مظاهر هذا التفصيل أن فصلت القصة في السورة تفصيلا على النحو الذي جاءت عليه ، أما مطلع سورة القمر فإنه يشير إلى ضيق الوقت والزمان وقرب نهاية الحياة وانقضاء هذه الدنيا " اقتربت الساعة وانشق القمر " فجاء القصص في سورة القمر متناغما ومتناسقا مع المطلع المنذر بقرب نهاية الحياة واقتراب الساعة ، وكأن المطلع هنا يقول ليس هناك وقت للشرح والتفصيل فخطر الساعة داهم زاحف ، يوشك أن ينزل بالدنيا فينهيها ، فكان أن جاءت القصة في سورة القمر متجاوبة مع هذا المطلع في إيجازها وتركيزها على مشهد عذاب المكذبين لرسلهم وأنبيائهم .

ثالثا : أوجه شبه بين السورتين :

على الرغم مما بين السورتين من تباين فيما يتصل بالإيجاز والإطناب ، إلا أنه يحسن أن نلفت إلى ما بين السورتين من أوجه شبه تلتقيان فيها ، ومن ذلك :

أن كلتا السورتين مكيتان وموجهتان إلى كفار مكة ومشركيها ومنذرتان لهم : إن هم ظلوا على عنادهم وإصراهم على عدم الإيمان فسيلقون مصائر من كذب وكفر من الأمم الغابرة قبلهم والتي استعرضت السورتان قصصهم ، ففي نهاية القصص في السورتين تعقيب مؤداه واحد ، وهو ذلك الإنذار الموجه إلى أهل مكة المكذبين برسالة محمد صلى الله عله وسلم ، إذ يقول معقبا على القصص في سورة هود (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠٠) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١) وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى

وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) ويقول تعالى معقبا على القصص في سورة القمر مخاطبا كفار قريش : (أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣)

ومن أوجه الشبه بين السورتين أن ترتيب القصص القرآني واحد في كلتيهما ، فسورة هود تبدأ بقصة نوح عليه السلام يعقبها قصة هود ثم صالح ثم جانب من قصة إبراهيم ولوط ثم قصة شعيب ، ثم لقطة عابرة من قصة موسى عليه السلام مع فرعون ، وهو نفس الترتيب الذي جات عليه القصة في سورة القمر ، غير أن ما ذكر من قصص إبراهيم وشعيب لم يذكر في سورة القمر، وذلك يرجع فيما أرى إلى الاستفاضة والتفصيل في سورة هود ، فامتدت السورة بظلالها إلى مالم تطله سورة القمر بإيجازها واكتنازها خضوعا لمقام الحال هنا وهناك .

رابعا : القرآن إيجاز كله:

ومما ينبغي التنبيه إليه في سياق دراسة الإيجاز والإطناب في القرآن الكريم أن هناك مُسَلَّمةٌ لابد منها أولا ، وهي أن القرآن الكريم ـــ بالنظرة العامة المجملة ـــ هو إيجاز كله ، فنحن أمام كتاب واحد لم تتجاوز صفحاته الستمائة والعشرين صفحة ، ومع ذلك يضم بين دفتيه كل قضايا الدنيا والآخرة ولم يفرط في شيء من ذلك ، ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة من أمور الدنيا والآخرة إلا أحصاها ، في إعجاز خالد لا يعتريه نقص ولا وهن ولا قدم على مر العصور والأجيال ، وهو في الوقت نفسه صالح لكل عصور البشرية منذ نزوله وإلى أن تقوم الساعة ، لا يتغير منه حرف ولا جملة ولا يخلق على كثرد الرد ولا تنقضي عجائبه ـــ بينما نجد المؤلفات ونتاج العقول الإنسانية في مختلف مناحي الفكر والآداب والفنون والقوانين والدساتير البشرية تفيض بها مكتبات الدنيا على مر التاريخ بملايين

الأطنان من الكتب والأسفار في كل عصر ومصر ، ومع ذلك لم تصلح لقيادة العالم ولا لإدارة الحياة ولو في عصر واحد ، وما يصلح منها في مكان لا يصلح في مكان آخر ، وما يصلح لزمان لا يصلح لزمان آخر، سواء منها ما يتعلق بأمور الدنيا أم بأمور الدين ، ومن هنا فإن القرآن بالنسبة لكل ذلك هو في قمة الإيجاز وهو إيجاز كله من حيث النظرة المجملة ، يقول الشيخ محمد عبد الله دراز في كتابه النبأ العظيم " تحت عنوان : القرآن إيجاز كله سواء مواضع إجماله ومواضع تفصيله" : " إن القرآن يستثمر دائما برفق أقل ما يمكن من اللفظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني ، أجل تلك ظاهرة بارزة فيه كله يستوي فيها مواضع إجماله التي يسميها الناس مقام الإيجاز ، ومواضع تفصيله التي يسمونها مقام الإطناب ، ولذا نسميه إيجازا كله ، لأننا نراه في كلا المقامين لا يجاوز سبيل القصد ، ولا يميل إلى الإسراف ميلا ما ، ونرى أن مراميه في كلا المقامين لا يمكن تأديتها كاملة العناصر والحلى بأقل من ألفاظه ولا بما يساويها ، فليس فيه كلمة إلا هي مفتاح لفائدة جليلة ، وليس فيه حرف إلا جاء لمعنى . أ هـ "[1]

ومع هذه المُسلَّمة السابقة (بكون القرآن كله إيجازا) ، إلا أننا نجد القرآن يتناول موضوعا ما أو قصة ما في صورة مفصلة ومستفيضة مرة ، ونراه يتناول نفس الموضوع أو نفس القصة في إيجاز وقِصَر مرة أخرى ، ولا شك أن هذا من صلب باب الإيجاز والإطناب في الدراسات البلاغية .

(١) النبأ العظيم ص ١٥٨ دار المرابطين للنشر والتوزيع الطبعة الأولىٰ ١٩٩٧ . تخريج وتعليق : عبد الحميد الد خاخني

ومن هنا فإني أشق عباب الدراسة للإيجاز والإطناب في القصة القرآنية من حيث النظر إلى سور القرآن بعضها إلى بعض و ليس من حيث النظرة الكلية للقرآن التي تقتضي بأن القرآن إيجاز كله كما أسلفت القول.

خامسا : نقف هنا عند بعض المسائل التي تتعلق بدرس الإيجاز والإطناب عامة

المسألة الأولى : أننا قد نجد داخل القصة المفصلة مواطن للإيجاز الاصطلاحي في علم البلاغة ، ومع هذا لا تخرج القصة عن كونها مصنفة في باب الإطناب ، وقد نجد داخل القصة الموجزة مواطن للإطناب البلاغي ولا يخرجها هذا عن كونها مصنفة في باب الإيجاز ، وهذا واضح وجلي .

المسألة الثانية : أننا عندما ندرس شواهد الإيجاز والإطناب لابد أن ننظر إليها في ضوء السياق ومقام الحال ولا نعزله بأية حال عن سياقها ، حتى تكون الصورة مكتملة الجوانب .

فمما هو جدير بالذكر في هذا الصدد أن وجدنا في تراثنا البلاغي معظم الأمثلة المشهورة في باب الإيجاز والإطناب تدرس ويستشهد بها في هذا الباب معزولة عن سياقها الذي تولدت منه ونبتت في بيئته ، والأغرب في هذا أن يكون المثال والشاهد من كتاب الله تعالى ، كما فعلوا عند قوله تعالى :" ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب " (البقرة : ١٧٩) والموازنة بينه وبين قول العرب " القتل أنفى للقتل " واستخرجوا أكثر من خمسة عشر فرقا بين القول الكريم وقول العرب ليدللوا على رجحان بلاغة عبارة القرآن وهذا جيد ومقبول ، ولكنهم لم يذكروا في هذه الموازنة البلاغية مراعاة ما اقتضاه السياق القرآني في بلاغة الإيجاز في الآية

الكريمة ، وهذا مشهور في كتب البلاغة القديمة التي تواترت إلينا منها هذه الموازنة ، وكذلك ما تناقلته الكتب المحدثة عن هذه المصادر القديمة [١] .

وقد علمتنا البلاغة أن النص يدرس في سياقه كاملا دون اقتطاعه من هذا السياق الذي تحدر منه وانساب في جداوله وتنامى في رحمه ، يقول الدكتور محمد رجب البيومي " في هذا الصدد :" يجب أن ننظر إلى الإيجاز والإطناب في ضوء الموضوع الكلي لا في نطاق الآية الجزئية لأننا إذا اتفقنا على أن كلا من الإيجاز والإطناب تكون بلاغته وفق مقتضى الحال فلن تتضح هذه البلاغة اتضاحا كاملا إلا باستعراض موقف مكتمل ليرى الدارس من خلال النص المتماسك ما يستتر خلف الألفاظ من معان يوحي بها المقام فيدرك حقيقة الإيجاز في موضعه ، كما يلمس ما يتطلب الموقف من إشباع للقول وامتداد للنفس فيدرك طبيعة الإطناب حين يتطلبه " [٢]

---

(١) ينظر في ذلك من القديم : الإيضاح في علوم البلاغة محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ) تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي ج ٣/ ١٨١) دار الجيل – بيروت الطبعة: الثالثة وينظر : الصناعتين أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيىٰ بن مهران العسكري (المتوفىٰ: نحو ٣٩٥ه تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية – بيروت عام ١٤١٩ هـ

(ص: ١٧٥) ومن المحدثين ينظر كتاب المفصل في علوم البلاغة العربية عيسىٰ علي العاكوب جامعة حلب سوريا ط دار القلم الطبعة الثانية ٢٠٠٥ م ص ٣٢٢، ٣٢٣ وكتاب علوم البلاغة أحمد مصطفىٰ المراغي ط شركة أبناء شريف الأنصاري بيروت لبنان سنة ٢٠٠٩م ص١٥٨ وما بعدها .

(٢) البيان القرآني د محمد رجب البيومي سلسلة مجمع البحوث الإسلامية الكتاب الواحد والثلاثون مايو ١٩٧١ م ص ١٠٤

ويستدرك الدكتور بيومي مذكِّرا بأنه ليس معنى هذا أن نقلل من جهد أئمتنا القدامى رضي الله عنهم في هذا الجانب عند دراسة الإيجاز والإطناب فيقول ــ رحمه الله " ولسنا نضائل من قيمة الجهد البلاغي لدى السابقين ولكننا نرى الكُتَّاب وقد تعاوروه نقلا وتسجيلا ، دون أن يتعداه أكثرهم إلى النظرة الكلية التي ترى أبعاد الموضوع بدءا وخاتمة"[1]

المسألة الثالثة : أن من مظاهر الإعجاز في التباين بين قصص القرآن من حيث الإيجاز والإطناب أن القارئ اليقظ الواعي بإعجاز القرآن حين يقرأ القصة في موضعين من القرآن إطنابا مرة وإيجازا مرة أخرى ويستحضر حلقاتها وأطوارها بدءا وانتهاءً هنا وهناك لا يستشعر فجوات في القصة بين صورتها المطنبة وصورتها الموجزة بعد أن قرأها مفصلة مبسوطة في موضع ، ثم هو يقرأها موجزة مضغوطة في موضع آخر ، فحين نقرأ القصة القرآنية في ثوبها الموجز فإن الإيجاز هناك يوحي لنا رغم ضغط القصة وإيجازها البين ببقية حلقاتها ومشاهدها ، ويشير إلى ما اختزل من أطوار القصة من طرف خفي، يقول صاحب كتاب دفاع عن البلاغة " والمزية الظاهرة للإيجاز على الإطناب أنه يزيد في دلالة الكلام من طريق الإيحاء. ذلك لأنه يترك على أطراف المعاني ظلالاً خفيفة يشتغل بها الذهن، ويعمل فيها الخيال، حتى تبرز وتتلون وتتسع، ثم تتشعب إلى معان أخر يتحملها اللفظ بالتفسير أو بالتأويل، والقرآن الكريم معجزة الدهر في هذا الصدد "[2]

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٢)دفاع عن البلاغة أحمد حسن الزيات ص٩٩ مطبعة الرسالة القاهرة ١٩٤٥ ومجلة الرسالة عدد ٥٥٨ وبنظر البيان القرآني د رجب اليومي ص ١١٢

المبحث الثالث

مظاهر الإطناب وبلاغته لقصة نوح عليه السلام في سورة هود

نص القصة في سورة هود

قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ

سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ۞وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ۞ (الآيات ٢٥ــ٤٩)

من مظاهر الإطناب في سورة هود أن جاءت القصة بحكم تفصيلها ــ بالنسبة لسورة القمر ـ مشتملة على سائر الأساليب البلاغية من الجمل الخبرية والإنشائية وأساليب القصر والفصل والوصل والصور البيانية وألوان البديع المنتشرة في ثنايا القصة والتي تتعاضد جميعها في إكمال صورة الإعجاز البلاغي في القصة تناسبا مع مقتضي الحال في سورة هود ولنأخذ هنا بعضا من هذه المظاهر التعبيرية في القصة :

أولا : الفعل الماضي وأسراره البلاغية في القصة :

أما عن الفعل الماضي ، في القصة في سورة هود فقد جاء منسابا في صورة واضحة الكثرة بما يتناسب مع طول القصة وعرضها عرضا مفصلا بالنسبة إلى وجازتها في سورة القمر ، ومن ذلك : الأفعال الآتية بين الأقواس :

ولقد (أرسلنا) نوحا .. (فقال)الملأ ..(قال) يا قوم .. (وآتاني) رحمة من عنده ــ (فعميت) عليكم ــ (قالوا) يا نوح قد (جادلتنا) (فأكثرت) جدالنا .. (قال) إنما يأتيكم به الله إن شاء ـــ قل إن (افتريته) فعلي إجرامي ــ (وأوحي) إلى نوح ــ إلا من قد (آمن) ــ وكلما (مر) عليه ملأ من قومه (سخروا منه (ــ (قال) إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون ــ حتى إذا (جاء) أمرنا و(فار) التنور ــ (قلنا) احمل فيها ــ (وأهلك) إلا من (سبق) عليه القول ومن (آمن) وما (آمن) معه إلا قليل ــ و(نادى) نوح ابنه ـــ و(كان) في معزل ــ (قال) سآوي إلى جبل ــ و(حال بينهما الموج) ـــ فـ (كان) من المغرقين ــ و(قيل) يا أرض ـــ "(وغيض) الماء ـــ و(قضي الأمر) ـــ (واستوت) على الجودي ــ (و قيل) بعدا للقوم الظالمين و(نادى) نوح ربه ــ فـ (قال) إن ابني من أهلي ــ (قال) يا نوح إنه ليس من أهلك ـ (قال) رب إني أعوذ بك ــ (قيل) يا نوح اهبط .

دلالة هذه الكثرة للفعل الماضي :

من دلالة الفعل الماضي بهذه الصورة المتكاثرة على النحو السابق في ثنايا القصة فيما أرى :

تفصيل الأحداث في القصة في أوسع صورة وأعرضها ، بحيث لم يغب عن القصة حدث ولا طور من أطوارها ، واستغراق القصة من أولها إلى آخرها ، كما أنه يفيد استيفاء الحوار بين أطراف القصة والذي يتمثل هنا فيما بين نوح عليه السلام وقومه عامة ، وبين نوح وابنه خاصة ، وبين نوح وربه سبحانه وتعالى ، وفي هذا ما فيه من إقامة الحجة على المعارضين الجاحدين الكافرين بدعوة نوح عليه السلام على مدى حقبهم وأجيالهم بإعطائهم الفرصة تلو الفرصة ، وفي الجانب الآخر : فيه إفراغ لمهمة نوح عيه السلام على أكمل وجه وإعذاره إلى ربه سبحانه وتعالى بأنه قد أدى رسالته مع قومه وجادلهم بكل الحيل في حدود ما هيأ الله له من قوة وقدره .

ومن بلاغة الفعل الماضي في القصة:

التأكيد على وقوع الأحداث وثبوتها بحيث لا يتطرق إليها شك أو ريبة ، وأنها من الثوابت الراسخة في تاريخ رسالة نوح عليه السلام ، فهكذا هي دلالة الفعل الماضي في تأكيد وقوع الأحداث وتأكيدها بصورة لا تقبل الجدل أو الاحتمال.

ومن بلاغة الفعل الماضي هنا ما يكمن في المنة علي النبي صلى الله عليه وسلم بإخباره عليه السلام وتعليمه هذا القصص الذي أصبح قارا في أعماق الماضي البعيد ، وأنه لولا إخبار الله تعالى بهذا الماضي الذي ليس له وثيقة مكتوبة يقرؤها النبي صلى الله عليه وسلم أو مسموعة يسمعها أو مرئية يراها ـــــ ما كان عَلِمَه

النبي عليه الصلاة والسلام ، كما قال تعالى " وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون "(العنكبوت : ٤٨ـ) لذا كان ختام القصة هنا في سورة هود امتنانا على النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ من ربه سبحانه وتعالى في قوله " تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (هود ٤٩) وكما قال تعالى عقب قصة يوسف عليه السلام " ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (يوسف ١٠٢) وكما في قوله تعالى في سورة آل عمران " ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ "(آل عمران ٤٤)

ثانيا دلالة الفعل المضارع وبلاغته في القصة في سورة هود :

بحكم التفصيل في القصة في سورة هودة أن تتابعت أيضا صيغة الفعل المضارع بصورة منتشرة في عرض القصة وطولها ، ومما هو مقرر أنه قد يعبر بالفعل المضارع عن الفعل الماضي لغرض استحضار الصورة والمشهد ، وكأنه يحدث لحظة التحدث تصويرا للحدث وكأننا نراه رأي العين ، وفي ذلك ما فيه أيضا من المنة على النبيﷺبإخبار الله له هذه الأحداث وتلك المشاهد ، وكأنها حاضرة أمام عينه ــ عليه الصلاة والسلام ــ ولولا إعلام الله له ما علمها في هذه الصورة المشاهدة أمام السمع والبصر ، ، وعلينا أن نراجع القصة لنرى مشاهدها حاضرة أمامنا تحدث في لحظتنا هذه من خلال الفعل المضارع المنتشر في أرجاء القصة ، ومن ذلك فيما بين الأقواس: إني (أخاف) عليكم عذاب يوم أليم ــ

(ما نراك) إلا بشرا مثلنا ـــ (وما نراك) اتبعك إلا الذين هم أراذلنا .. (وما نرى) لكم علينا من فضل ـــ بل (نظنكم) كاذبين ـــــ (لا أسئلكم) عليه من أجر ـــ (أنلزمكموها) وأنتم لها كارهون ـــ ولكني (أراكم) قوما تجهلون ـــ من (ينصرني) من الله إن طردتهم ـــــ (أفلا تذكرون) ـــ (ولا أقول) لكم عندي خزائن الله ـــ (ولا أعلم الغيب) ـــــ ولا (أقول) إني ملك ـــــ ولا (أقول للذين) ـــ (تزدري) أعينكم ـــ فأتنا بما (تعدنا) ـــ قال إنما (يأتيكم) به الله إن شاء ـــ ولا (ينفعكم) نصحي ـــــ إن أردت أن (أنصح) لكم ـــ إن كان الله (يريد) أن (يغويكم) ـــ وإليه (ترجعون) ـــــ وأنا برئ مما (تجرمون) ـــ (ويصنع الفلك) ـــــ قال (إن تسخروا) منا ـــ فإنا (نسخر) منكم كما (تسخرون) ـــــ وهي (تجري) بهم في موج) ـــ إني(أعظك) أن تكون من الجاهلين ـــ قال رب إني (أعوذ) بك أن (أسألك) ما ليس لي به علم ـــ تلك من أنباء الغيب (نوحيها إليك) .

من أسرار الجملة الاسمية في القصة:

إذا كنا قد استعرضنا الجمل المبنية على الفعل الماضي والفعل المضارع وأثر الدلالة البلاغية لكليهما في القصة فلا يخفي علينا أيضا ما تضمنته القصة من سائر التراكيب المبنية على هذين الفعلين على نحو ما رأينا ، ومن ذلك : الجمل الاسمية ودلالاتها المتنوعة في القصة ومن ذلك (فيما بين الأقواس) : ـــ (إني لكم نذير مبين) ـــ (وأنتم لها كارهون) ـــ (وما أنا بطارد) الذين آمنوا ـــــ ولا أقول (إني ملك) ـــ (إني إذاً لمن الظالمين ـــ (وما أنتم بمعجزين) ـــ (فعليَّ إجرامي) ـــ (وأنا برئ) مما تجرمون ـــ (إنهم مغرقون) (بسم الله مجريها ورساها) ـــ

(إن ربي لغفور رحيم) ــ إن ابني من أهلي) ــ (وإن وعدك الحق) ــ (وأنت أحكم الحاكمين) (إنه ليس من أهلك) (إنه عمل غير صالح) ــ (إن العاقبة للمتقين)

والجمل الاسمية في القصة على تكرارها كما نرى تنضم إلى صنوها من الجمل الفعلية في استعراض صورة الإطناب للقصة في سورة هود مقارنة بها في سورة القمر ، وإذا أردنا أن نتلمس بلاغة الجمل الاسمية على تكرارها في القصة بما تدل عليه من الثبوت والدوام ـــ فإني أراها تتساوق مع طول المدة التي لبث فيها نوح عليه السلام في قومه حيث لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ، وهذه مدة في ذاتها كفيلة أن تستدعي الجمل الاسمية والتي تعكس ـــ بحكم أنها تفيد الثبوت والدوام ـــ طول هذه المدة الزمنية التي لم تتكرر مع نبي غير نوح عليه السلام.

أسلوب القصر في القصة :

ومن مظاهر الإطناب في تفصيل القصة في سورة هود أن احتوت كما أسلفنا على كثرة من الأساليب البلاغية تساوقا مع طول القصة وتفصيلها ، ففيها التوكيد بأساليبه المختلفة وأبرزها في القصة أسلوب القصر كما في قول القوم لنوح : (ما نراك إلا بشرا مثلنا) ـــ (وما نراك اتبعك إلا الذين هم أرذلنا بادي الرأي) ـ وفي قول نوح لقومه : إني (لكم نذير مبين) وفي قول نوح عليه السلام : (إن أجري إلا على الله) ـــ ولا أقول لكم (عندي خزائن الله ") ـــ (لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) ـــ (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) ـــ (وإن وعدك الحق) .

وكل موطن من مواطن القصر هذه له بلاغته في موضعه في سياق القصة ، ولست هنا بصدد تحليل كل نوع من أنواع القصر ، ولكني معني بإبراز مظاهر الإطناب هنا لمقابلته بمظاهر الإيجاز في سورة القمر، وتكرار أسلوب القصر في أكثر من موضع هو مظهر من مظاهر الإطناب البلاغي بحكم أنه نتيجة للتفصيل والإطناب وتنوع العرض لأحداث القصة .

ولعل من أسرار أساليب القصر المفيد للتوكيد في هذه المواضع التي جاءت على لسان نوح عيه السلام مخاطبا قومه في قوله " إني (لكم نذير مبين) " وقوله (إن أجري إلا على الله) ولا أقول لكم (عندي خزائن الله) ـــ " لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم " أن نفس نوح عليه السلام تمتلئ يقينا وقناعة بما يوجهه لقومه عامة وبنه خاصة من قول ونصح فيأتي بهذه الأساليب توكيدا لما في نفسه عليه السلام إظهارا منه لحرصه على هدايتهم وسوقهم إلى الحق والصراط المستقيم ، وأنه جاء لينقذهم من سوء المصير الذي ينتظرهم جراء كفرهم وعنادهم ، وبراءته من كل أغراض الدنيا ومصالحها القريبة .

وأما ما جاء من توكيد بالقصر على ألسنة القوم كما في قولهم : " ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أرذلنا " ففيه توكيد منهم على كفرهم وموقفهم الصاد عن الحق ومحاولة منهم لإقناع أنفسهم بأنهم على الحق ، وفيه رد لرسالة نوح وذلك لسببين ـ في زعمهم ـ: الأول : أن النبي لا ينبغي أن يكون بشرا فلا يليق بهم أن يتبعوا بشرا مثلهم ، والسبب الثاني يكمن في قولهم " وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي " "فقد قصروا الإيمان به على أراذل القوم وهم الفقراء الذين لاعقل لهم قصر صفة على موصوف ـــ هكذا في نظر المتكبرين

العالين ـــ فقد جرَّت قلة عقل الفقراء وخرفُ رأيهم ـــ فيما يزعم هؤلاء المتكبرون ـــ إلى الإيمان بنوح وأن هذا مما ينبغي أن يترفع عنه العلية والكبراء والسادة ، وما يليق بهم أن يسلكوه ولا أن يتصفوا به ، ففي ذلك ما فيه من انتقاص لمكانتهم وكبريائهم ، هكذا يفهم المتغطرسون من قوم نوح الرافضين للإيمان به وبرسالته وهو من إيحاءات أسلوب القصر هنا .

وأما القصر على لسان الحق سبحانه في قوله تعالى " لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن " فهو قصر صفة على موصوف أيضا ، وفيه تأكيد من الحق سبحانه لنوح عليه السلام على عدم إيمان من لم يؤمن لتستريح نفسه عليه السلام بعد هذا العناء الجاهد المكد مئات السنين ، في محاولاته المستمرة معهم ليؤمنوا ، ولذلك أكد الجملة بالقصر ، ومع كونه تأكيدا فقد زاده توكيدا آخر بحرف التحقيق "قد " " لِلتَّنْصِيصِ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ مَنْ حَصَلَ مِنْهُمُ الْإِيمَانُ يَقِينًا دُونَ الَّذين ترددوا."[1]

وبناء الفعل للمفعول في قوله " وأوحي " للعلم بالموحِي سبحانه وتعالى ، وأستشعر من بناء الفعل للمفعول أن القرآن تحاشى أن يذكر لفظ الجلالة لو بني الفعل للفاعل في سياق التيئيس من إيمان من لم يؤمن من القوم

صورة بيانية :

من الصور البيانية في القصة في سورة هود هذا التشبيه الرائع في قوله " وهي تجري بهم في موج كالجبال" وهو تشبيه يصور الهول الذي كان يحيق بالعالم في هذه

(١) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر – ١٩٨٤ هـ ص(١٢ج/ ٦٦

اللحظات الشداد حيث تشق سفينة نوح عباب الأمواج الشاهقة وسط هذا الهول المفزع ، فهو ليس موجا عاديا وإنما هو موج كالجبال الشاهقة ، يكاد يبتلع العالم آنذاك ، وهي صورة يسرح فيه الخيال المحلق إلى مالا نهاية في تصوير الهول المرعب الجاسم على الدنيا آنئذ ، يقول صاحب تفسير المنار : "وَمَنْ عَرَفَ مَا يَحْدُثُ فِي الْبِحَارِ الْعَظِيمَةِ مِنَ الْأَمْوَاجِ عِنْدَمَا تُهَيِّجُهَا الرِّيَاحُ الشَّدِيدَةُ، رَأَى أَنَّ الْمُبَالَغَةَ فِي هَذَا التَّشْبِيهِ غَيْرُ بَعِيدَةٍ، وَصَفَ لِي بَعْضُهُمْ سَفَرَهُ فِي الْمُحِيطِ الْهِنْدِيِّ فِي زَمَنِ رِيَاحِ الصَّيْفِ الَّتِي يُسَمُّونَهَا الْمَوْسِمِيَّةَ بِمَا مَعْنَاهُ: كُنْتُ أَرَى السَّفِينَةَ تَهْبِطُ بِنَا فِي غَوْرٍ عَمِيقٍ، كَوَادٍ سَحِيقٍ، نَرَى الْبَحْرَ مِنْ جَانِبَيْهِ كَجَبَلَيْنِ عَظِيمَيْنِ يَكَادَانِ يُطْبِقَانِ عَلَيْهَا، فَإِذَا بِهَا قَدِ انْدَفَعَتْ إِلَى أَعْلَى الْمَوْجِ كَأَنَّهَا فِي شَاهِقِ جَبَلٍ تُرِيدُ أَنْ تَنْقَضَّ مِنْهُ، وَالْمَلَّاحُونَ يَرْبِطُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْحِبَالِ عَلَى ظَهْرِهَا وَجَوَانِبِهَا، لِئَلَّا يَجْرُفَهُمْ مَا يُفِيضُ مِنَ الْمَوْجِ عَلَيْهَا،"(١)

" وقيل يا أرض ابلعي ماءك .."

ولا يفوتنا هنا التذكير بما احتوته القصة في سورة هود من الآية التي وقف أمامها أهل البيان على مدى العصور خاشعين أمام بلاغة القرآن محلقين في بلاغتها العالية وما انطوت عليه من أسرا لا تتناهى وهي قوله تعالى " وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (هود ٤٤) فقديما وحديثا لا يزال أهل البلاغة يستخرجون من هذه

(١) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠ م ص(١٢/ ج ٦٦)

الآية كنوزا من البلاغة لا حد لها ، ومن القدامى الذين استخرجوا من لآلئ البيان في هذه الآية : الإمام أبو يعقوب السكاكي حيث يقول :

" والنظر في هذه الآية من أربع جهات: من جهة علم البيان، ومن جهة علم المعاني وهما مرجعا البلاغة ومن جهة الفصاحة المعنوية ومن جهة الفصاحة اللفظية. ،"[1]

ويراجع ما سجله الإمام السكاكي هناك من أسرار هذه الآية وما سجله أهل البيان قديما وحديثا مما اهتدوا إليه من أسرار بلاغية في مظانها من كتب البيان .[2]

(١) مفتاح العلوم يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ) ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ص (ص: ٤١٧)

(٢) وممن تناول هذه الآية بالدراسات البلاغية ابن الأثير في المثل السائر ج ١ ص ١٥٢ وص ١٦٦ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت وابن سنان الخفاجي في سر الفصاحة ج١ ص ٢٢٤ دار الكتب العلمية الطبعة: الطبعة الأولىٰ ١٤٠٢هـ_١٩٨٢م وابن أبي الأصبع في تحرير التحبير ص ٤٢٥ وص ت٦١١ تخقيق وتعليق الدكتور حفني محمد شرف لناشر: الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي والعلوي الملقب بالمؤيد بالله (المتوفىٰ: ٧٤٥هـ)في كتاب الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٣ هـ ج٣ ص ١٢٦ وصاحب كتاب جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن مصطفىٰ الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ) ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي الناشر: =

يقول شيخنا الدكتور محمد أبو موسى حول هذه الآية : وهذه الآية الكريمة من الشواهد السائرة عند البلاغيين، وقد كثر كلامهم في بيان فصاحتها، وقالوا: إن واحدا ممن حاولوا معارضة القرآن لما قرأها مزق أوراقه، وقال ابن أبي الأصبع: إنه لم ير -في جميع ما استقرى من الكلام المنثور والشعر الموزون- كهذه الآية، وأنه استخرج منها أحد وعشرين ضربا من المحاسن، وهي ملحوظات لا تخلو من حسن، وحذف المسند إليه الحقيقي في قوله: وقيل: يا أرض يشير إلى قوة ظهوره، وأن ذلك الفعل الهائل أعني مخاطبته الأرض، وتوجيه الأمر المستعلي إليها لا يكون إلا من الذي خلقها فسواها وكذلك السماء، وحذف الفاعل في قوله: وغيض الماء للإشارة إلى الإجابة السريعة، فما أن أمرت الأرض بأن تبلغ، والمساء بأن تقلع إلا وقد غيض الماء، وكأن قوة هائلة مجهولة اختطفته، وابتلعته فهذه معها.[1]

من بلاغة الاعتراض داخل القصة في سورة هود

يجدر أن ننبه إلى أن أطوار القصة هنا في سورة هود قد تخللها اعتراض بكلام عن كفار مكة ومشركيها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم " وذلك في قوله تعالى " أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعليَّ إجرامي وأنا برئ مما تجرمون " (هود ٣٥) والضمير في قوله " أم يقولون افتراه عائد على كفار مكة ومشركيها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهذا كلام معترض بين قصة نوح عليه السلام .

وسر هذا الاعتراض يكمن ــ فيما أرى ــ في وجه الشبه بين موقف القومين : قوم نوح وتمردهم على نوح ودعوته ، وكفار مكة ومشركيها الرافضين لدعوة محمد

=المكتبة العصرية، بيروت ج ١ ص ٣١٨ والعلامة شيخنا الدكتور محمد أبو موسىٰ في خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني مكتبة وهبة ص ١٣١ الطبعة الثانية ١٩٨٠

(١) خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني مكتبة وهبة ص١٣١ الطبعة الثانية ١٩٨٠م

ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ورسالته ، ولا شك أن قريشا هم المخاطب الأول بهذا القصص القرآني ليعرفهم مصير من يطيع صوت الحق على لسان الأنبياء ومصير من يكفر ويتمرد على الحق رادا رسالة الرسل ، يقول صاحب التحرير والتنوير في هذه الآية أنها : " جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ جُمْلَةِ أَجْزَاءِ الْقِصَّةِ وَلَيْسَتْ مِنَ الْقِصَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهَا مِنْهَا فَقَدْ أَبْعَدَ، وَهِيَ تَأْكِيدٌ لِنَظِيرِهَا السَّابِقِ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ. وَمُنَاسَبَةُ هَذَا الِاعْتِرَاضِ أَنَّ تَفَاصِيلَ الْقِصَّةِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا الْمُخَاطَبُونَ تَفَاصِيلٌ عَجِيبَةٌ تَدْعُو الْمُنْكِرِينَ إِلَى أَنْ يَتَذَكَّرُوا إِنْكَارَهُمْ وَيُعِيدُوا ذِكْرَهُ. "[1]

ويقول صاحب الظلال : " وعند هذا المقطع من قصة نوح يلتفت السياق لفتة عجيبة إلى استقبال مشركي قريش لمثل هذه القصة التي تشبه أن تكون قصتهم مع الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ودعواهم أن محمدا يفتري هذا القصص ، فيرد هذا القول قبل أن يمضي في استكمال قصة نوح: (أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي إجرامي وأنا بريء مما تجرمون). . فالافتراء إجرام قل لهم: إن كنت فعلته فعليَّ تبعته وأنا أعرف أنه إجرام فمستبعد أن أرتكبه وأنا بريء مما تجرمون من تهمة الافتراء إلى جوار غيرها من الشرك والتكذيب ، وهذا الاعتراض لا يخالف سياق القصة في القرآن لأنها إنما جاءت لتأدية غرض من هذا في السياق ."ا هـ[2]

وكثيرا ما جاء هذا اللون من الاعتراض داخل القصة الواحدة في القرآن ، أو داخل الموضوع الواحد ، ومن ذلك قول الله تعالى بين قصة لقمان وابنه في سورة

(١) التحرير والتنوير الناشر : الدار التونسية للنشر – ج (١٢/ ص ٦٣)

(٢) في ظلال القرآن عند تفسير هذه الآية من سورة هود .

لقمان " وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤ ، ١٥)

فقد جاءت هاتان الآيتان اعتراضا بين وصايا لقمان عليه السلام لابنه " [١] " وذلك لتكتمل بها الحكمة، التي كان من أولى ثمراتها وأطيبها، شكر الخالق المنعم، ثم تكون الثمرة الثانية، وهى شكر الوالدين، وذلك ببرهما، والإحسان إليهما إذ كان لهما على الولد فضل الولادة، والتربية، والرعاية، ومن حق كل ذي فضل أن يشكر ويحمد ممن أحسن إليه.. وفي المأثور: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» [٢]

ومن هذا النوع من الاعتراض أيضا قوله تعالى بين آيات الطلاق في سورة البقرة " حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا للهِ قَانِتِينَ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (٢٣٨ ، ٢٣٩)

(١) ينظر تفسير ابن عطية (أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار = الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ ج (٤/ ص ٣٤٨) .. وتفسير أبي السعود (محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) ص (ج ٧/ ص ٧١) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

(٢) التفسير القرآني للقرآن (ج١ ص/ ٥٦٦) عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة

ومما هو مقرر في باب الإيجاز والإطناب أن الاعتراض بين الجمل أو الاعتراض بمعنى خارج عن السياق بكلام طال أم قصر هو أحد صور الإطناب [١]

وسورة هود بحكم أنها آخذة على عاتقها أن تفصل القول تفصيلا في قصص الأنبياء ومنها قصة نوح ، فإن السياق في السورة يتسع ليحتضن كل ما يشبه القصة مما له بها شبه ورحم من كلام خارج في الظاهر عن موضوع القصة ـ ولكنه في الحقيقة تربطه بالقصة علاقة وثيقة ، سواء أكانت ظاهرة جلية أم كانت خفيه تستخرج بالتأمل وإعمال الذهن ، وهذا من بديع الإعجاز البلاغي في القرآن .

وقد تبين لنا من التحليل السابق وضوح العلاقة وسطوعها بين هذه الآية " أم يقولون افتراه .. الآية " وبين قصة نوح عليه السلام مما يجعل الاعتراض بها في ثنايا القصة من أجلى مظاهر الإعجاز البلاغي في القصة ، حتى أننا لو قلنا إن

---

(١) ينظر في ذلك الإيضاح في علوم البلاغة (٣/ ٢١٤ المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي الناشر: دار الجيل – بيروت الطبعة: الثالثة وينظر شروح التلخيص ج ٣ ص ٢٢٧ ط دار الإرشاد الإسلامي بيروت لبنان و بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (٢/ ٣٥٩عبد المتعال الصعيدي (المتوفى: ١٣٩١هـ) الناشر: مكتبة الآداب الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م وقد عرفوا الاعتراض بأنه " (والتعريف هنا مستقىٰ من كتب العلماء القدامىٰ) هو أن يؤتىٰ في أثناء الكلام أو بين كلا مين متصلين معنىٰ بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة بلاغية غير ما ذكر في التكميل والذي يأتي في الكلام لدفع الإيهام وهي ليست من أغراض الاعتراض (علوم البلاغة وتجلي القيمة الوظيفية في قصص العرب دكتور محمد إبراهيم شادي ط دار اليقين للنشر والتوزيع الطبعة الأولي ١٠١١ ص ٢٤٨

القصة بأكملها جاءت لتؤكد العلاقة بين موقف قوم نوح وبين موقف مشركي مكة من خلال هذه الآية ـــــ ما أبعدْنا في القول .

ونكتفي بما قدمناه هنا من مظاهر الإطناب في القصة في سورة هود مقارنة لها بما يقابلها من مظاهر الإيجاز في سورة القمر ، وهو ما نشرع فيه الآن بحول الله تعالى وتوفيقه .

المبحث الرابع

مظاهر الإيجاز وبلاغته لقصة نوح في سورة القمر

نص القصة في سورة القمر

قال تعالى :

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ . فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ . فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ . وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ. وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ . تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ . وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ . فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (الآيات ٩ ـــ ١٦)

الناظر في الألفاظ والتراكيب والمعاني في سور القمر يجد بطبيعة الحال أن القصة قد ضغطت ضغطا واختصرت اختصارا ، وطوت أطوارا من القصة قد ذكرت هناك في سورة هود ولم تذكر هنا ، وقد سبق أن ذكرت أن سورة القمر إحدى سور المفصل التي لا تتسع كالسور الطوال للتفصيل والإطناب ، ومن هنا فلن تتسم القصة في السورة بما اتسمت به من مظاهر الإطناب والبسط في سورة هود .

الجمل الفعلية :

من مظاهر الإيجاز في سورة القمر ـــ مقابلة بسورة هود ـــ أن جاءت الجمل الفعلية المبنية على الفعل الماضي في السورة : فقط إحدى عشرة مرة مقارنة بما جاء في سورة هود بما يقارب الأربعين مرة ، وأن الفعل المضارع لم يرد في سورة القمر إلا مرة واحدة بينما جاء في سورة هود فيما يزيد عن الثلاثين مرة ، وها هي مواضع الفعل الماضي في السورة فيما بين الأقواس :

" (كذبت) قبلهم قوم نوح ــ (فكذبوا) عبدنا ــ (وقالوا) مجنون (وازدجر) ــ (فدعا) ربه أني مغلوب فانتصر (ففتحنا) أبواب السماء بماء منهمر (وفجرنا) الأرض عيونا (فالتقى) الماء على أمر قد (قدر) ــ (وحملناه) على ذات ألواح ودسر ، تجري بأعيننا جزاء لمن (كان كُفِر) ـــ ولقد (تركناها) آية فهل من مدكر .

ومن بلاغة الفعل الماضي الذي هيمن هنا على أحداث القصة ــ بجانب تأكيده الأحداث ـــ لكون الفعل الماضي يؤكد وقوع الفعل في الماضي وماضوية هذه الأحداث ـــ أـن صور اختطاف قوم نوح جيلا من بعد جيل وسحقهم بالعذاب والهلاك الماحق ، ورميَهم في هوة الماضي السحيق ، واندثارهم في قعر مظلم من التاريخ ، وجعْلَهم أحاديث تروى للأجيال والقرون تحكي كفرهم وتمردهم على نبي الله رغم تطاول القرون بهم وإعطائهم الفرصة تلو الفرصة للإيمان والعودة إلى الحق ولكنهم لم يرعووا ، وقد ضلوا وأضلوا ولم يلدوا إلا فاجرا كفارا .

الفعل المضارع والإيجاز في القصة :

ومن مظاهر الإيجاز في القصة مقارنة بها في سورة هود أن جاء الفعل المضارع هنا مرة واحدة ، وقد جاء في سورة هود فيما يزيد عن الثلاثين مرة ، وهذا يعكس مظهرا من مظاهر الإيجاز للقصة في سورة القمر في مقابل كثرته في سورة هود .. ، نقول جاء المضارع هنا مرة واحدة في قوله تعالى في وصف سفينة نوح عليه السلام في قوله تعالى : " وحملناه على ذات ألواح ودسر(تجري) بأعيننا جزاء لمن كان

كفر، " هكذا (تجري بأعيننا) وهو صِفَةٌ فِي مَوْضِعِ جَرٍّ. وَ (بِأَعْيُنِنَا) : حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي «تَجْرِي» أَيْ مَحْفُوظَةٌ.[1]

والمضارع هنا يصور حضور المشهد وكأننا نراه اللحظة الحاضرة رأي العين ، فقد استحضر لنا الحدث ونقله لنا مشاهدا محسوسا رغم ما كان يحيق بالأرض كلها في هذه اللحظات من فناء مدمر ومن فزع وهول ، والتعبير بـ " تجري " بدلا من تمشي أو تسير ــ مثلا ــ يصور لنا قوة السفينة وثباتها رغم الأهوال المحيطة بها من كل جانب ، ولا عجب في ذلك فهي تجري بعين الله وقوته .

الإيجاز بالكناية عن السفينة بـــ (ذات ألواح ودسر) وبلاغته

قوله تعالى " وحملناه على(ذات ألواح ودسر) " هو كناية عن موصوف وهي السفينة فَهِيَ صِفَةٌ تَقُومُ مَقَامَ الْمَوْصُوفِ وَتَنُوبُ عَنْهُ[2] وهو أيضا من باب الإيجاز" وَعَادَةُ الْبُلَغَاءِ إِذَا احْتَاجُوا لِذِكْرِ صِفَةٍ بِشَيْءٍ وَكَانَ ذِكْرُهَا دَالًّا عَلَى مَوْصُوفِهَا أَنْ يَسْتَغْنُوا عَنْ ذِكْرِ الْمَوْصُوفِ إِيجَازًا كَمَا قَالَ تَعَالَى: أَنِ اعْمَلْ سابِغاتٍ [سبأ: ١١] ، أَيْ دُرُوعًا سَابِغَاتٍ.[3]

---

(١) التبيان في إعراب القرآن : أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى : ٦١٦هـ) تحقيق علي محمد البجاوي الناشر : عيسىٰ البابي الحلبي وشركاه(٢/ ١١٩٣

(٢) البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م ج (١٠/ ص ٣٩)

(٣) التحرير والتنوير ج (٢٧/ ص ١٨٤)

وهذه الكناية عن السفينة بذات ألواح ودسر : هل هي وصف لقوة السفينة أم للتهوين من شأنها" ؟

يقول صاحب ظلال القرآن " وظاهر من العبارة تفخيم السفينة وتعظيم أمرها . فهي ذات ألواح ودسر . توصف ولا تذكر لفخامتها وقيمتها . وهي تجري في رعاية الله بملاحظة أعينه [1] ، فالكناية هنا بالصفة عن الموصوف تشير إلى أنها سفينة قوية محكمة الصنع والإتقان لأنها مصنوعة بعين الله ورعايته فحق لها أن تكون كذلك .

وقد تكون الكناية بهذه الصفة عن السفينة إشارة لضعفها وبدائيتها والتهوين من شأنها ، لتفيد الكناية مدى قدرة الله تعالى في إنجاء موكب نوح عليه السلام ومن معه من المؤمنين رغم هوان السفينة التي تحملهم وسط هذا الهول الرعيب ، ويكون التنكير في ألواح ودسر يفيد ضعف السفينة والتهوين من شأنها

وقد استعرض شيخنا الدكتور محمد أبو موسى هاتين الوجهتين باستفاضة يحسن هنا أن نستأنس بها على الرغم من طولها ، يقول " وحملناه على ذات ألواح ودسر" يعني على السفينة ، ويمكن أن تقول إن هذه الكناية تشير إلى أنها سفينة محكمة بالدسر والألواح ، وهذا يلائم سياق الموقف الصعب الذي أحاط خطره وأحدق بكل حي " فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣)

(١) في ظلال القرآن سيد قطب " دار الشرق ج٦ ص ٣٤٣٠

وتقول في ضوء هذا الفهم الذي اعتد في هذا الموقف الصعب بحال من آمنوا وأحضر لهم سفينة محكمة قد صنعها سيدنا نوح بعين الله ورعايته ، تقول إن التنكير في : ألواح : يفيد التعظيم والنوعية مما يعني أنها من نوع من الألواح غريب وعظيم ، وكذلك يقال في الدسر ، ويؤنس هذا الوجه أن التعبير الوارد في صنعها " أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا (المؤمنون : ٢٧) إنما يقال في الشيء يكون موضع عنايتك واهتمامك كأن تقول افعل كذا بمرأى مني أو تحت بصري ـ ويؤنسه أيضا أن حال الذين آمنوا مع سيدنا نوح في هذا الموقف المرعوب تحتاج إلى أن تكون السفينة مهيئة لهم قدرا من الأمان ليكون ذلك من الدواعي الحسنة للشعور بالأمن ، وهذا لا يعارض صدق شعورهم بحياطة الله وإنجاز وعده . ويمكن أن يقال إن الكناية عن السفينة بذات الألواح والدسر ليس بيانا لمكانتها وقوتها وأنه يأمن من فيها ، وإنما هو تهوين لها ، وأنها لا تحفظ أحدا ، وإنما كان الحفظ بعناية الله وحدها ، وكأنهم في وسط هذا الموج الهادر الذي ابتلع الحياة والأحياء آمنون وهم على ألواح لا تغني عنهم من الأمر شيئا ، لأن عناية الله كانت هي التي تحفظ ، وفي هذا تكريم لهؤلاء الذين آمنوا ، وأنهم لم ينجوا بسفينة ناجية ، وإنما نجوا على سطوح ألواح هينة ، وهذا وإن كان مضادا للأول إلا أن السياق لا ينبو عنه ، لأنه يركز على بيان الكرامة التي كانت من الله لنوح عليه السلام والذين معه ، وأنهم كانوا فوق ذرى الأمواج على ألواح لا تغني عنهم شيئا ، ولكن الله أمسكهم بقدرته وإكرامه وأنت هناك تنظر إلى حال الذين آمنوا وأن السفينة المحكمة القوية عامل من عوامل الأمن لهذه النفوس التي لاشك قد داخلها ما داخلها من هول الموقف بتأثير الضعف البشري أما وصف السفينة في الواقع وأن طولها كذا

وعرضها كذا وأنها كانت محكمة جدا وأنها كذا إلى آخر ما ذكرت كتب التفسير فهو أمر لا يعنينا ، لأنها وهي في قمة الإحكام لا تغني شيئا في هذا الموقف إلا أن تكون ممسوكة بيد الله " اهـ [1]

ومن مظاهر الإيجاز في القصة في سورة القمر : الحذف :

يلقانا في ذلك : حذف المسند إليه في قوله " وقالوا مجنون أي هو مجنون " على إضمار مبتدأ[2] وحذف المسند إليه هنا يشير إلى امتلاء رؤوس القوم بوصف نوح عليه السلام بالجنون وطفح نفوسهم بهذا الوصف حتى أنها سالت على ألسنتهم مسارعين بنطقها مسقطين المسند إليه وهو نوح عليه السلام من حسابهم خبثا ولؤما وازدراء له .

ومن مظاهر الإيجاز بالحذف اسم المفعول في قوله " أني مغلوب " والأصل غلبني الكفار أو غَلَبَتْنِي نَفْسِي وَحَمَلَتْنِي عَلَى الدُّعَاءِ عَلَيْهِمْ فَانْتَصِرْ لِي [3]
والمعنى " انتهت طاقتي . انتهى جهدي . انتهت قوتي . وغلبت على أمري . أني مغلوب

(١) التصوير البياني دكتور محمد أبو موسىٰ مكتبة وهبة الطبعة الثانية ص ٤١٨

(٢) إعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٩٣) المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفىٰ: ٣٣٨هـ)وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١ هـ

(٣) التحرير والتنوير (٢٧/ ١٨١)

(فانتصر). . انتصر أنت يا ربي . انتصر لدعوتك . انتصر لحقك . انتصر لمنهجك . انتصر أنت فالأمر أمرك أ والدعوة دعوتك . وقد انتهى دوري !(١)

وحذف الفاعل والبناء على المفعول فيه أن نوحا عليه السلام قد ضاقت نفسه بالقوم حتى أنه اختصر الكلام اختصارا ، لأنه مكروب محزون فليس في نفسة طاقة لإطالة الكلام .

كذلك من مظاهر الإيجاز بالحذف بناء الفعل للمجهول في أكثر من موضع كما في قوله " وازْدُجِر " " "على أمر قد (قُدِر) جزاء لمن كان كُفِر" وبناء هذه الأفعال للمفعول هو اختصار لحالة كونها مبنية للفاعل ،

فالفعل " وازدُجِر" هو مَعْطُوفٌ عَلَى قالُوا وَهُوَ افْتَعَلَ مِنَ الزَّجْرِ. وَصِيغَةُ الِافْتِعَالِ هُنَا لِلْمُبَالَغَةِ مِثْلُهَا: افْتَقَرَ وَاضْطُرَّ. " (٢) ، وأصله : زجروه (أي القوم) عن تبليغ الدعوة بالإيذاء والتخويف. (٣) ولكن بناء الفعل للمفعول اختصر الفعل اختصارا وجعله في موطن الإيجاز ، وسر بنائه للمجهول يكمن في أمرين ــ فيما أرى ــ الأمر الأول : أنه يشير إلى تجاهل هؤلاء المتمردين على نوح وعدم المبالاة بهم وعدم الاكتراث بشأنهم فهم أقل من أن يتوالى ذكرهم صراحة في السياق بعدما ذكرهم أولا في قوله " كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا . والامر الثاني : أنه يشير إلى تعدد الجهات الخفية المعادية لنوح عليه السلام فهو يُزْجَر ويُسَب ويساء إليه ويُكادُ

(١) في ظلال القرآن ج٦ ص٣٤٣٠ دار الشروق

(٢) التحرير والتنوير ج (٢٧/ ص ١٨١)

(٣) التفسير الواضح (٣/ ٥٧٢) المؤلف: محمد محمود حجازي الناشر: دار الجيل الجديد – بيروت الطبعة: العاشرة – ١٤١٣ ه

له من جهات متعددة خفية وظاهرة ، لكن القراءة غلَّبت الجهات الخفية لأنها أشد خطرا على نوح من الجهات الظاهرة ، هذا ما أراه والله أعلم .

ويرى صاحب التحرير والتنوير أن بناء الفعل للمفعول في قوله " وازدُجر" يشير إلى صيانة نوح عليه السلام وحياطته من أن يكون مفعولا لضمير هؤلاء الكفار أو لاسمهم صراحة إن بني الفعل للفاعل فقيل مثلا " وازدجروه " أو " وازدجره قومه ـــــ وهذا وجه أراه من الوجاهة والقبول بمكان أيضا ويزيد في المعنى وفي إيحاءات بناء الفعل للمفعول ، والقرآن بطبيعته حمال أوجه ـــ يقول : " وَنُكْتَةُ بِنَاءِ الْفِعْلِ لِلْمَجْهُولِ هُنَا التَّوَصُّلُ إِلَى حَذْفِ مَا يُسْنَدُ إِلَيْهِ فِعْلُ الِازْدِجَارِ الْمَبْنِيُّ لِلْفَاعِلِ وَهُوَ ضَمِيرُ قَوْمُ نُوحٍ، فَعَدَلَ على أَنْ يُقَالَ: وَازْدَجَرُوهُ، إِلَى قَوْلِهِ: وَازْدُجِرَ مُحَاشَاةً لِلدَّالِّ عَلَى ذَاتِ نُوحٍ وَهُوَ ضَمِيرٌ مِنْ أَنْ يَقَعَ مَفْعُولًا لِضَمِيرِهِمْ. وَمُرَادُهُمْ أَنَّهُمُ ازْدَجَرُوهُ، أَيْ نَهَوْهُ عَنِ ادِّعَاءِ الرِّسَالَةِ بِغِلْظَةٍ قَالَ تَعَالَى: قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَراكَ فِي سَفاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكاذِبِينَ [الْأَعْرَاف: ٦٦] وَقَالَ: قالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ [الشُّعَرَاء: ١١٦] وَقَالَ: وَكُلَّما مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ [هود: ٣٨] ."اه[1]

وأما قوله " فالتقى الماء على أمر قد(قُدِر) فأصله " على أمر قدره الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان. .[2] أو " عَلى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ أي كائنا على حال قد

(١) التحرير والتنوير ج (٢٧/ ص ١٨١)

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ (٥/ ١٦٥)

قدرها الله تعالى في الأزل من غير تفاوت أو على حال قدرت وسويت وهي أن ما نزل على قدر ما خرج.[١]

والفعل هنا بهذا البناء للمفعول داخل في باب الإيجاز أيضا بالحذف أي حذف الفاعل للعلم به وهو هنا لفظ الجلالة تبارك وتعالى ، ونستشف من بنائه للمفعول هنا : سرعة استجابة الماء لأمر الله تعالى وأنه بمجرد صدور الأمر من الله تعالى بالنزول من السماء والخروج من الأرض إذا به قد فار وفاض وطغا ، وتهيأ على الطريقة التي أرادها الله تعالى بأسرع ما يكون ليبتلع القوم الكافرين ويغرقهم ويرمي بهم في حاق الهلاك .

وأما بناء الفعل للمفعول في قوله تعالى " جزاء لمن كان كُفِر " فالمراد بـ "من كُفِرَ" هو نوح عليه السلام والتقدير بمن كفره قومه على حد قوله تعالى" وما يفعلوا من خير فلن يكفروه " (آل عمران ١١٥) أي فعلنَا ذلكَ جزاءَ لنوحٍ عليهِ السَّلامُ لأنَّه كانَ نعمةً كفرُوها فإنَّ كلَّ نبيَ نعمة من الله تعالَى على أمتهِ ورحمة وأي نعمة وأي رحمة ، أو المراد من كفر به قومه[٢]

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني ج ١٤/ ص ٨٢ المؤلف : شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

(٢) تفسير أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ج(٨/ ص١٧٠) (بتصرف)

ونتلمس السر البلاغي للبناء للمفعول هنا ، فأراه يشير إلى أن الفاعل معلوم وهم الكافرون من قوم نوح وقد طواهم الفعل المبني للمفعول ازدراء لهم وإبعادا لذكرهم كما أوضحنا في الفعل (وازدُجِر) ، كما أنه يشير إلى أمر آخر ، هو تحاشي أن يقع فعل الكفر على الضمير العائد على نوح عليه السلام ، صيانة له وحماية من أن يؤذي برائحة فعل الكفر لو وقع على ضميره عليه السلام في حال بناء الفعل للفاعل . وأيضا في بناء الفعل للمجهول ما يشير إلى تعدد الجهات الخفية التي تتربص بنوح عليه السلام وتكن له العداوة والضغينة وتكفر به وبرسالته والله أعلم وكل ذلك يستدعي لهم شديد العذاب وسوء المنقلب الذي صورته الآيات .

العطف بالفاء وأثره في الإيجاز في سورة القمر :

من مظاهر الإيجاز ـــ في قصة نوح هنا : أن جاء العطف بالفاء في أكثر من موضع ، تصويرا لسرعة الأحداث وتعاقبها في صورة خاطفة هكذا : فكذبوا عبدنا .. فدعا ربه ـــ فانتصر ـــ ففتحنا أبواب السماء.. فالتقى الماء .. الفاء الأولى (فكذبوا عبدنا) تشعر بسرعة تكذيبهم لنوح عليه السلام ، وكأنهم وبدون تفكير قد بادروا نوحا عليه السلام بالتكذيب والجحود لكل ما يدعوهم إليه من حق وبلاغ عن الله عزو جل ، فكان الجزاء من جنس العمل : أن استعجل الله لهم العذاب عن طريق الفاء أربع مرت متواليه : (فدعا)ربه أني مغلوب ـــ (فانتصر) (ففتحنا) أبواب السماء بماء منهمر ..(فالتقى)الماء على أمر قدر . هكذا بالفاءات المتلاحقة وكأنها (أي الفاء) قد وكلت بتعجيل الفناء للقوم واختطافهم إلى حاق الهلاك ومحوهم من الوجود . في سرعة خاطفة جزاء وفاقا .

يقول صاحب الظلال : " وما تكاد هذه الكلمات (أي دعاء نوح عليه السلام : أني مغلوب فانتصر) تقال ؛ وما يكاد الرسول يسلم الأمر لصاحبه الجليل القهار ، حتى تشير اليد القادرة القاهرة إلى عجلة الكون الهائلة الساحقة . . فتدور دورتها المدوية المجلجلة: ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر . وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر" (١)

وللزمخشري توجيه بديع في " فكذبوا " الثانية إذا يجعلها بمثابة تتابع التكذيب لنوح عليه السلام من قومه جيلا بعد جيل ، وفي هذا ما فيه من تكثيف جرم هؤلاء في حق الداعي عليه السلام والدعوة التي جاء بها " يقول صاحب الكشاف :" فإن قلت: ما معنى قوله تعالى فَكَذَّبُوا بعد قوله كَذَّبَتْ ؟ قلت: معناه: كذبوا فكذبوا عبدنا أي: كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب، كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب." (٢)

وهذا التوجيه في ذاته هو أيضا خادم لمعنى الفاءات المتتابعة والتي اختطفت القوم بهذه السرعة ورمتهم في حاق المصير المرعب ، وكأن تكرار التكذيب بهذه الصورة هو من حيثيات الحكم عليهم بسوء المصير الذي آل أمرهم إليه بهذه السرعة الماحقة لهم من الوجود ، وكأن تكرار التكذيب قد استحث العذاب والهول الرعيب فغشيهم ما غشيهم من الهلاك والدمار بهذه السرعة الخاطفة ،

---

(١) في ظلال القرآن ج٦ ص٣٤٣٠ ط دار الشروق

(٢) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٤٣٣) المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ

وهي في ذاتها (أي السرعة) عذاب يضاف إلى العذاب الذي أعد لهم ونزل بهم فأغرقهم في جوف طوفان الأرض والسماء ، وجعل العالم ساعتها قد استراح من شرهم وسفاهاتهم لتبدأ الدنيا كلها صفحة بيضاء ناصعة جديدة مع نوح عليه السلام والقليلين الذين آمنوا معه ونجوا معه من هذا الهلاك .

سر التعبير بـ " عبدنا" في سورة القمر :

نلاحظ في سورة القمر التعبير عن نوح عليه السلام بـ عبدنا " بعد أن عبر عنه في نفس الآية باسمه الصريح ، والذي أستشعره من التعبير بالعبودية وإضافتها إلى الحق سبحانه وتعالى أنه تشريف لنوح عليه السلام وتكريم له ، إذ العبودية أشرف ما يمكن أن يرتفع بالعبد إلى مراتب التكريم الأعلى عند الله عز وجل ، وإذا أضيفت العبودية إلي ضمير العظمة الإلاهية (عبدنا) فإن التكريم والتشريف يرتقيان في سلم الشرف أيما ارتقاء ، وكأن الله تعالى يقول لنوح عليه السلام : إذا كان أهل الأرض قد أهانوك وانتقصوا قدرك فإن قدرك عندنا في أعلى عليين وفي أسمى منزلة ، كما أن من سر التعبير بالعبودية ـــــ أيضا فيما أرى ـــــ : أنه تعليل لنزول أقسى العقاب بالقوم وشديده ، لأنهم إنما أساءوا لرجل محسوب على الله جل جلاله ، وكأن التعبير بـ عبدنا فيه استعداء عليهم وإلهاب لنزول العذاب بالقوم المكذبين ، وكأنه يقول بلسان الحال : إن من يُغضِب من كان عبدا لنا فلا وقت لإمهاله وعليه أن ينتظر الهول وسوء المصير عاجلا غير آجل .

وإذا أضفنا إلى ذلك وصفهم له بالجنون والزجر في قولهم عنه " مجنون وازدجر " فإن مقام الحال يستدعي السياق هنا لأن يختصر القصة في سرعة الانتقام ونزول العقاب وتركيز المشهد على ذلك ، وبهذا يمكن الربط بين هذا التعبير وبين إيجاز

القصة في سورة القمر بأنه لبنة من لبنات استعجال العذاب بالقوم وتركيز القصة على تصوير هول العقاب الذي حل بهم على هذه الصورة .

أحكام التجويد في السورتين وعلاقتها بالإيجاز والإطناب :

هناك جانب من جوانب البلاغة الصوتية ينبغي ألا يغفل فيما نحن بصدده ، وهو مراعاة أحكام التجويد في السورتين ، ، فبطبيعة الحال : إن بسط القصة وتفصيلها في سور هود ينبني عليه كثرة أحكام التجويد فيها مقارنة بسورة القمر، وذلك يمنح القصة في سورة هود مزيدا من البسط والإطناب ويتمثل ذلك في المدود بأنواعها والغنة والإخفاء والإقلاب والإظهار إلى آخر الأحكام التجويدية، وما يقتضيه كل ذلك من المدة الزمنية التي تستغرقها هذه الأحكام في التلاوة ، وإذا أردنا أن نأخذ واحدا فقط من هذه الأحكام كمظهر من مظاهر الإطناب البلاغي في السورة فليكن المد بأنواعه ومن ذلك : المد الطبيعي والذي هو حركتان ، والمنفصل وهو ما بين حركتين إلى أربع إلى ست حركات ، والمتصل وهو ما يصل إلى الست حركات وأقلها أربع حركات ، وكذلك المد العارض للسكون والذي تنتهي به الآيات في سورة هود كلها ــ كمعظم سور القرآن ــ هكذا حسب ترتيب الآيات في قصة نوح عليه السلام : نذير مبين ــ عذاب يوم أليم ــ بل نظنكم كاذبين ــ وأنت لها كارهون ـــ ولكني أراكم قوما تجهلون ـــ أفلا تذكرون ــ إني إذا لمن الظالمين ــ إن كنت من الصادقين ـــ وما أنتم بمعجزين ــ وإليه ترجعون ـــ وأنا برئ مما تجرمون ـــ فلا تبتئس بما كانوا يفعلون ـــ إنهم مغرقون ـــ كما تسخرون ـــ عذاب مقيم ـــ وما آمن معه إلا قليل ـــ لغفور رحيم ــ ولاتكن مع الكافرين ــ فكان من المغرقين ـــ وقيل

بعدا للقوم الظالمين ـــ وأنت أحكم الحاكمين ـــ إني أعظك أن تكون من الجاهلين ـــ وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ـــ ثم يمسهم منا عذاب أليم ـــ والعاقبة للمتقين .

فانظر كم يأخذ هذا المدُ فقط من الوقت في قراءة القصة على امتداد آياتها الأربعين ـــ فضلا عن

المدود الأخرى في القصة ـــ فهو إذن في ذاته يشكل مظهرا من مظاهر الإطناب وهو ما يفتقد هناك في سورة القمر. .

ومن بلاغة هذا المد في القصة في سورة هود ـــ فيما أرى ـــ أنه يشعرك وأنت تقرأ القصة باسترخاء النفس وتهدئتها ودعوتها إلى التأمل الطويل وإطلاق الخيال في معاني القصة عند رأس كل آية ، وكل ذلك يتناسب ـــ لا شك ـــ مع الظروف التي نزلت فيها سورة هود للتسرية عن النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وتهدئة أعصابه ومواساته فيما يفعله قومه معه بمثل ما كان يفعل قوم نوح مع نوح .

وهذا المد الأخير (العارض للسكون) خاصة لا يوجد في سورة القمر كلها ، لأن سورة القمر تنتهي آياتها بفاصلة فريدة في القرآن لم تتكرر في سورة أخرى وهذه الفاصلة خالية من المد تماما ، وتتمثل في الراء الساكنة حال الوقف وقبلها مفتوح أو مضموم أو مكسور وليس قبل أي فاصلة في السورة كلها حرف مد من الحروف الثلاثة (الألف أو الياء أو الواو) هكذا : وازدُجِر ـــ فانتَصِرْ ـــ مُنْهَمِر ـــ قد قُدِر ـــ ودُسُر ـــ لمن كان كُفِر ـــ فهل من مُدَّكِر.

والفاصلة في سورة القمر بليغة في سياقها ولا يغني عنها غيرها ـــ كما هو الحال في كل القرآن الكريم : لا تغني كلمة عن كلمة ، ولا فاصلة عن فاصلة ، ولا

تعبير عن تعبير ، ولا تنكير عن تعريف ولا العكس .. وهكذا ... فالفاصلة هنا أعني في سورة القمر تدعونا إلى حبس الأنفاس والترقب الخائف المذعور عند قراء السورة بجوها هذا الذي يأخذك من مشاهد القيامة في أول السورة ، إلى الحديث عن مصارع الظالمين المكذبين برسالات أنبيائهم ، وهذا الجو تتناسب معه تلك الفاصلة العجيبة التي لم تتكرر في غير هذه السورة من القرآن كله . والله تعالى أعلم بأسرار كتابه .

الخاتمـــــــــــــــــــــــــــــــة

نحمد الله تعالى حمد الشاكرين على ما وفق وأعان وهدى ــ ونصلي ونسلم على خاتم رسله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ومن بهديه اهتدى ــ وبعد

فإني أكتفي هنا بما استعرضته من نظرات بلاغيه حول الإيجاز والإطناب للقصة في سورتي هود والقمر ، وإن كان لم يغط كل الجوانب ولم يستوف الدراسة حقها ـــــ أنا على يقين من ذلك ـــ .، وأرجو الله تعالى أن يمكنني في وقت لا حق لاستكمال ما نقص وما لم يسعفني به الوقت من هذه الدراسة . وأرجوه تعالى أن يعفو عن ذللي وخطأي وشططي وما يمكن أن يكون جرأة سافرة على كتاب الله تعالى أو على كلام أهل العلم .

وهذه بعض النتائج والتوصيات المتواضعة التي تقدمها ــ على استحياء هذه الدراسة :

ـ هناك كثرة من شواهد الإيجاز والإطناب في تراثنا البلاغي في حاجة إلى إعادة قراءة ومراجعات حتى تفهم فهما جديدا يبرؤها من تهم ومؤاخذات غدت ثوابت ومقررات تجعلها في منأىً عن الفصاحة والبلاغة أو على الأقل تنتقص من بلاغتها وفصاحتها .

ـ أننا عندما ندرس شواهد الإيجاز والإطناب لابد أن ننظر إليها في ضوء السياق ومقام الحال ولا نعزلها بأية حال عن سياقها ، حتى تكون الصورة مكتملة الجوانب ، وقد عرجت الدراسة على السياق والمقام الذين وجها القصة إلى الإيجاز والإطناب بين السورتين .

ــ الإيجاز والإطناب في القرآن نسبي بوجه عام فيما بين قصصه أو موضوعاته أو أحكامه ، فالقصة موجزة في موضع بالنسبة لها في موضع آخر " ومطنبة في موضع بالنسبة لها في موضع آخر .. وهكذا ، لكن القرآن بوجه عام يوصف بالإيجاز، وهذا الإيجاز هو أحد أوجه إعجازه وبلاغته ، فهو كتاب واحد لم تتجاوز صفحاته الستمائة والخمسين صفحة ومع ذلك فقد تضمن بين دفتيه كل قضايا الدنيا والآخرة ولم يفرط في شيئ، بينما تختنق مكتبات العالم في عصر ومصر بمليارات الأطنان من كتب وقوانين البشر ومع ذلك لم يفلح هذا النتاج البشري في إصلاح العالم والحياة لافي القديم ولا في الحديث ، ولن يكون يوما من الأيام إلى قيام الساعة .

ــ أن من مظاهر الإعجاز في التباين بين قصص القرآن من حيث الإيجاز والإطناب أن القارئ اليقظ الواعي بإعجاز القرآن حين يقرأ القصة في موضعين من القرآن إطنابا مرة وإيجازا مرة أخرى ويستحضر حلقاتها وأطوارها بدءا وانتهاءً هنا وهناك لا يستشعر فجوات في القصة بين صورتها المطنبة وصورتها الموجزة بعد أن قرأها مفصلة مبسوطة في موضع ، ثم هو يقرأها موجزة مضغوطة في موضع آخر .

ـ أن من أهم مظاهر الإطناب لقصة نوح في سورة هود ـــ بالنسبة لإيجازها في سورة القمر ـــ أنه بطبيعة الحال وبحكم تفصيلها وبسطها في السورة فقد اشتملت على كثرة الأساليب البلاغية من تنوع الجمل بين إنشائية وخبرية واسمية وفعليه وتعدد مواضع التوكيد بما في ذلك أساليب القصر التي رصدنا لها أكثر من صورة أثناء الدراسة.

ـ أننا قد نجد داخل القصة المفصلة مواطن للإيجاز الاصطلاحي في علم البلاغة ، ومع هذا لا تخرج القصة عن كونها مصنفة في باب الإطناب ، وقد نجد داخل القصة الموجزة مواطن للإطناب البلاغي ولا يخرجها هذا عن كونها مصنفة في باب الإيجاز ، وهذا واضح وجلي .

ــ ينبغي ــ في الدراسات البلاغية ـفي القرآن ــ ألا نغفل جانب التجويد في إبراز مظاهر الأساليب البلاغية في القرآن من إيجاز وإطناب وتوكيد وغيرها ، فالبلاغة الصوتية في القرآن لا تقل شأنا عن سائر الأساليب البلاغية في إبراز المعنى بصورة متكاملة ، وهذه خاصية من خصائص القرآن لا تتوفر لغيره من كلام البشر ، وقد أبرز البحث أحد هذه الأوجه لبلاغة التجويد فيما يخص المد العارض للسكون وتكراره على مدى القصة كلها في سورة هود مقابلة بغيابه في سورة القمر ولهذا دلالاته البلاغية ، وقد رأينا كيف أبرز المد العرض للسكون في سورة هود أحد مظاهر الإطناب للقصة في السورة .

هذا وفي تضاعيف البحث وثناياه ما يمكن أن نستخلصه نتائج وتوصيات أخرى نكتفي بما ذكرنا منها هنا

لضيق المقام .

وصلى الله على سيدنا وإمامنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

مراجع البحث

١. إعراب القرآن للنحاس المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ

٢. الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن د .محمود توفيق محمد سعد بدون تاريخ

٣. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

٤. الإيضاح في علوم البلاغة محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق المتوفى: ٧٣٩هـ المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي الناشر: دار الجيل – بيروت الطبعة: الثالثة

٥. البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ

٦. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة عبد المتعال الصعيدي (المتوفى: ١٣٩١هـ الناشر: مكتبة الآداب الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م

٧. البيان القرآني د محمد رجب البيومي سلسلة مجمع البحوث الإسلامية الكتاب الواحد والثلاثون مايو ١٩٧١

٨. التبيان في إعراب القرآن : أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى : ٦١٦هـ) تحقيق علي محمد البجاوي الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه. بدون تاريخ .

٩. تحرير التحبير ابن أبي الأصبع تحقيق وتعليق الدكتور حفني محمد شرف الناشر: الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي ـــ بدون تاريخ

١٠. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر - ١٩٨٤

١١. التصوير البياني دكتور محمد أبو موسى مكتبة وهبة الطبعة الثانية ١٩٨٠

١٢. التعريف بالقرآن الكريم المؤلف: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بدون تاريخ

١٣. تفسير ابن عطية (أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار = الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢

١٤. تفسير أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى المتوفى: ٩٨٢هـ ص الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ـــ بدون تاريخ

١٥. تفسير الألوسي = روح المعاني المؤلف : شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

١٦. تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ

١٧. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠ م

١٨. التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب المتوفى: ١٣٩٠هـ الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة بدون تاريخ

١٩. تفسير المراغي :أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م ج١١ص١٦٧

٢٠. التفسير الواضح (٣/ ٥٧٢) المؤلف: محمد محمود حجازي الناشر: دار الجيل الجديد – بيروت الطبعة: العاشرة – ١٤١٣ ه

٢١. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ) ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي الناشر: المكتبة العصرية ـــ بدون تاريخ

٢٢. خصائص التراكيب د محمد محمد أبو موسى ط الثانية ١٩٨٠ وهبة

٢٣. خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم دكتور محمد رجب البيومي سلسلة مجمع البحوث الإسلامية الكتاب الثاني والأربعون ١٩٧٢

٢٤. الدر الفريد وبيت القصيد المؤلف: محمد بن أيدمر المستعصمي (٦٣٩ هـ - ٧١٠ هـ)

٢٥. دفاع عن البلاغة أحمد حسن الزيات ص٩٩ مطبعة الرسالة القاهرة ١٩٤٥ ومجلة الرسالة عدد ٥٥٨

٢٦. سر الفصاحة ابن سنان الخفاجي دار الكتب العلمية الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ_١٩٨٢م

٢٧. سنن الترمذي تحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ عدد الأجزاء: ٥ أجزاء

٢٨. صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر نشر: دار طوق النجاة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ عدد الأجزاء: ٩

٢٩. الصناعتين أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت عام النشر: ١٤١٩ ه

٣٠. العزفُ على أنوار الذِّكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ في سياق السورة الدكتور محمود توفيق سعد بدون تاريخ

٣١. علوم البلاغة : أحمد مصطفى المراغي ط شركة أبناء شريف الأنصاري بيروت لبنان سنة ٢٠٠٩م

٣٢. علوم البلاغة وتجلي القيمة الوظبفية في قصص العرب دكتور محمد إبراهيم شادي ط دار اليقين للنشر والتوزيع الطبعة الأولي ١٠١١ .

٣٣. الفروق اللغوية لأبى هلال العسكري ط دار مكتب العلمية

٣٤. في ظلال القرآن سيد قطب ط دار الشروق الطبعة الثانية عشرة ١٩٨٦ م

٣٥. كتاب الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوي (المتوفى: ٧٤٥هـ)الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ

٣٦. المثل السائر لابن الأثير تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت ـــ بدون تاريخ

المحقق: الدكتور كامل سلمان الجبوري الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة

المحقق: الدكتور كامل سلمان الجبوري الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

٣٧. مسند أبي يعلى الموصلي تحقيق: حسين سليم أسد نشر: دار المأمون للتراث – دمشق الطبعة: الاولى سنة النشر لطبعة: الأولى، ١٤٠٤ – ١٩٨٤ عدد الأجزاء: ١٣

٣٨. مصنف عبد الرزاق الصنعاني نشر: المجلس العلمي- الهند وأيضا المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ عدد الأجزاء: ١١

٣٩. المعجم الكبير للطبراني : سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة الطبعة: الثانية عدد الأجزاء:٢٥

٤٠. معجم المصطلحات القرآنية المؤلف: الدكتور عبد الرحيم فانيا مبادي ــ بدون تاريخ

٤١. مفتاح العلوم يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ) ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ص

٤٢. المفصل في علوم البلاغة العربية عيسى علي العاكوب جامعة حلب سوريا ط دار القلم الطبعة الثانية ٢٠٠٥ م

٤٣. موقع الإسلام سؤال وجواب والمشرف عليه الشيخ محمد صالح المنجد تاريخ النشر ا/ ١١/ ٢٠٠٩ (من المواقع الإلكترونية)

٤٤. موقع الكلم الطيب(من المواقع الإلكترونية)

٤٥. موقع المصحف الالكتروني .(من المواقع الإلكترونية)

٤٦. النبأ العظيم الشيخ محمد عبد الله دراز دار المرابطين للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٩٩٧ . تخريج وتعليق : عبد الحميد الدخاخني